بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه، والصَّلاة والسَّلام على عبده ورسوله محمَّد، وعلى آلِه وصحبِه.

أمَّا بعد:

فهذا شرحٌ لكتاب: «كَشْفِ الشُّبُهَاتِ» للشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب - قدَّس اللَّه روحه -، جمعتُه من تقريرات شيخنا الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله، كتبتُها حال إلقائه الدُّروس في مسجدِه وفي بيته من عام ستة وستين وثلاث مئة وألف (١٣٦٦) إلى عام اثنين وسبعين وثلاث مئة وألف (١٣٧٢) هجرية.

وقد تكرَّرت كتاباتي لهذا الشَّرح ست مرات[١]، أكتب لفظه مِنْ فيه في حينه حرصاً على تقييد الفوائد، ومحافظةً على أمانة النَّقل، وإن كان الثِّقات من العلماء يقتنعون بالنَّقل عن مشايخهم سماعاً ويُحدِّثون به، كما يقول ابن القيِّم رحمه الله أحياناً: «وسمعت شيخنا أو شيخ الإسلام ابن تيمية يقول»، وكما يذكره الشيخ عبد اللَّه بن عبد العزيز العنقري رحمه الله عن مشايخه بلفظ: «تقرير»، وغيرهما.

وهذه التَّقريرات[٢] التي سمعتها منه وسجلتها في دفاتري كمَّلت بعضها ببعض ورتبتها، فتحصَّل منها شرحٌ وافٍ بالمقصود، موجزٌ، سهلُ العبارة - وللَّه الحمد والمِنَّة -، ووضعت عناوين في الهامش للشُّبَه وأجوبتها، لتُسهِّل فهم الكتاب، وجعلت المتن في أعلى كلِّ صفحة، وفصلت بين المتن والشرح، وأعدت فقرات المتن مع الشَّرح؛ ليكون أوضح

---

(١) يعني: أنَّ الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله شَرَحَ كتاب كشف الشُّبهات سِتَّ مرَّات، وهذه الشُّروح السِّت كلُّها مكتوبةٌ هنا، وكان يحضر هذه الشُّروح الشَّيخ ابن باز رحمه الله وهو صغير.

(٢) يعني: الكتابات، كان الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله كفيف البصر، وكان يشرح فكان بعض الطُّلاب يكتب الشَّرح، لكن لا يوجد أحدٌ يكتب الشَّرح كاملاً إلَّا هذا الكتاب.

من وضعه بصفة تعليق، وذكرت بعض من روى الأحاديث، وعزوت الآيات، ونبَّهت على ما يشكل، أو يحتاج إلى توضيح.

وقدَّمت للكتاب بمقدِّمة وصفت فيها طريقة الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله في افتتاح الدُّروس، وبيَّنت حرصه على تعليم التَّوحيد، وحثِّ الطُّلاب على تعلُّمه، وذكرت الفرق بين دين قريش ودين مُحمَّد صلى الله عليه وسلم، ثم ذكرت موضوع الكتاب، ثم نصَّ الشُّبه وملخصَ الجواب عنها[1].

---

(١) وهذا الكتاب هو خلاصة دعوة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله، فكان بعض النَّاس يطوفون على قبرٍ أو غيرِه يكتب لهم أنَّ هذا محرَّم، فيُعطونه حديثاً فيردُّ عليهم هذا الحديث الضَّعيف، والآخر يعطيه شبهةً، والشُّبهة يعني: شيءٌ متعلِّقٌ في رأسه غير صحيح، فيقول مثلاً: الطَّواف على القبر ليس شركاً وإنَّما ندعوه ونقول: يا ميت! أطلب من اللَّه كذا، فيقول لهم الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب هذا هو دين المشركين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، ومِن بلدٍ آخر يكتبون له فيُجيب عليهم؛ لأنَّ الشَّيخ رحمه الله توفِّي وعُمُرُه إحدى وتسعون سنةً، يعني: عُمُرٌ طَوِيلٌ في الدَّعوة.

فلا تجد شبهة يلقيه أحدٌ في توحيد الألوهيَّة لن تخرج عن ما في هذا الكتاب، يعني: مَنْ عَرَفَ هذا الكتاب وفَهِمَه يستطيع أنْ يُحاجَّ جميع مَن التبس عليه توحيد الألوهيَّة، لذلك سمَّاه الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله «كَشْفُ» يعني: إزالت «الشُّبُهَاتِ» يعني: الشُّبهة.

يعني: لو شخص أخذ ملابس آخر وقلنا له: لماذا أخذتها؟ يقول: وجدتها نفسها فأخذتها، تقول له: ليست نفسها هذا لونه أحمر وهذا لونه أزرق.

يعني: أهل الحق يسمُّونه دليل، وأهل الباطل ليس عندهم دليل بل يُسمِّيه شبهة، فأنت تقول: القرآن حقٌّ كلام اللَّه، يأتي آخر ويقول: القرآن ليس كلام اللَّه لماذا؟ يقول: لأنَّ القرآن موجود في المصحف وما نسمع أنَّ اللَّه يتكلَّم به، نقول: هذه شبهة، غير صحيح؛ لأنَّ الوحي =

=

انقطع فلم يخبرنا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عن شيءٍ زائدٍ عمَّا في هذا الكتاب الذي موجودٌ الآن وهو القرآن الكريم؛ لأنَّ اللَّه يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ وهنا حق وهنا ضلالة، فلو سمَّيناه دليلاً معناه أنَّ الشَّيء صحيحٌ، وهو شيءٌ غلط، لذلك اللَّه يقول: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ ما عندهم شيءٌ يستمسكون به.

لذلك هذا الكتاب مهمٌ جدّاً، وهو يُبين لك خلاصةُ دعوة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب، وهو تطبيق عملي لِمَا في كتاب التَّوحيد، عرفت مثلاً ما هو تفسير شهادة ألَّا إله إلَّا اللَّه، هنا يبيِّن لك ما الذي يخالفونه في شهادة ألَّا إله إلَّا اللَّه.

والشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله وضع اثنتي عشرة شبهة، جميع شُبَه العالَم تدور عليها، وأجاب عنها بجوابٍ قويٍّ سيأتي إنْ شاء اللَّه.

طريقة الشَّيخ في افتتاح الدُّروس

«الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، قال رحمه اللَّه تعالى: ...».

كان شيخنا الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله يستفتح الدروس في هذا الكتاب وغيره بهذه العبارة التي فيها الثناء على اللَّه سبحانه، والصلاة والسلام على رسوله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ثم يترحَّم على المؤلِّفين.

وكذلك الطُّلاب يستفتحون قراءتهم عليه في المختصرات - المتون -، والمطوَّلات - كتب الحديث والتَّفسير، والعقائد والفقه، والنَّحو وغيرها - بهذه العبارة، يجمعون بين الصَّلاة والسَّلام على آله وأصحابه، تبعاً للصَّلاة والسَّلام عليه؛ لا يقتصرون على الصَّلاة والسَّلام على «آله» دون «أصحابه»، وإذا تلوا نصَّ الأحاديث اقتصروا على الصَّلاة والسَّلام على الرَّسول صلى الله عليه وسلم كما هما موجودان في كتب الحديث ومؤلَّفات العلماء المعروفين باتِّباع طريقة أهل السُّنَّة والجماعة.

وقد نبَّهَنا شيخُنا رحمه الله في تقريراته - وكما يذكر ذلك غيرُه - على سرِّ الجمع بين الصَّلاة والسَّلام على آله وأصحابه؛ بأن ذلك تأكيدٌ لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في معرفة حقوقهم وفضائلهم ومحبَّتهم، وبراءةً من البدعتين الذَّميمتين، بدعة «النَّواصب»، وبدعة «الرَّوافض»، حيث كان الاقتصار على الصَّلاة والسَّلام على «آله» دون «أصحابه» شعاراً للرَّوافض ودعايةً لعقيدتهم، هذا بقطع النَّظر عما يعنون «بآله»[1].

---

(١) يعني: المقصود افتتاح دروس العلماء بِـ «الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين» ولا يقولون: «الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله» ولا يقولون الأصحاب؛ لأنَّ هذه شِعَار لبعض أهل البدع، =

=

وإنَّما يُجْمَع بين الآل - وهم قرابة النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم - وبين أصحابه - أصحاب النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم -.

وكذلك الطَّالب والشَّيخ مِن قبلِه أيضاً يقول هذه المقدِّمة: يثني على اللَّه، ويُصلِّي على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ويترحَّم على المُصنِّف، هذه طريقة أهل العلم.

ولم نسمع منه رحمه الله في الدُّروس ولا في الخطب ولا غيرهما بعد ذكر «آله» عبارة «الطَّيِّبين الطَّاهرين»؛ لأنَّ هذه العبارة خبر عن طهارتهم، والآية والحديث الواردان في ذلك فيهما الأمر لهم، وفرق بين الأمر والخبر[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السُّنَّة»: «واللَّهُ لم يخبر أنه طهَّر جميع أهل البيت وأذهب عنهم الرِّجس؛ فإنَّ هذا من الكذب على اللَّه، كيف ونحن نعلم أن من بني هاشم من ليس بمطهَّر[2]، ولأنَّه قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣]، ففيه أنه يحب ذلك ويرضاه لكم ويأمركم به، فمن فعله حصل له هذا المراد المحبوب، ومن لم يفعله لم يحصل له ذلك».

وقال في موضع آخر: «قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً» دليل على أنه لم يخبر بوقوع ذلك، فإنَّه لو كان وقع، لكان يثني على اللَّه بوقوعه ويشكره على ذلك، لا يقتصر على مجرَّد الدُّعاء، ولأنَّه قال في الدُّعاء لنفسه - والأُمَّة تبع له -: «اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا».

---

(١) يعني: لو يقول الشَّخص: «اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ» ما يجوز، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: «فإنَّ هذا من الكذب على اللَّه»؛ لأنَّ اللَّه لم يقل: طهَّرهم، وإنَّما قال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

فإذا قال شخص: اللَّهم طهِّر آل النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، نقول: ما فيه بأس دعاء، لكن تُخبر بأنَّ آل بيت النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم طيِّبين طاهرين ما يجوز، فأبو لهب ليس بطيِّبٍ ولا طاهر وكذلك أبو طالب ليس بطيِّبٍ ولا طاهر بل هما كافران، وهي عبارة شائعة «اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ» نقول: ما يجوز.

(٢) يعني: كافر، وأعمام النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم اثنا عشر كما تعلمون، لم يُسْلِم سوى العبَّاس وحمزة، كيف نقول: أنَّ العشرة طيِّبين طاهرين؟! ما يجوز.

حرصه على تعليم التَّوحيد وحثِّ الطُّلاب على تعلُّمه[1]

قال شيخنا رحمه الله[2]: «لا يُزهد في التَّوحيد، فإنَّ بالزُّهد فيه يوقع في ضده، وما هلك من هلك ممَّن يدعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقَّه ومعرفته حقَّ المعرفة[3]، وظنُّوا أنه يكفي الاسم والشَّهادتان لفظاً، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله هل هو موجود أو مفقود؟!».

قال: «وممَّا يذكر عن المؤلِّف رحمه الله أنه قال يوماً[4]: يذكر البارحة أنه وُجد رجلٌ على أُمِّه يجامعها، فاستعظم المحضر ذلك، وضجّوا منه، رأوا أنه منكر كبير - وهو كبير -.

ثم قال لهم مرَّة أُخرى: إنَّ واحداً أصيب بمرضٍ شديدٍ، فقيل له: اذبح «دُيَيْكاً»[5] لفلانٍ

---

(١) يعني: حرص الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله على تعليم التَّوحيد سواءً لطلَّابه أو لغير طلَّابه.

(٢) يعني: هذا كلام الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله.

(٣) يعني: سببُ هلاك النَّاس أفراداً أو جماعات هو بُعْدَهم عن التَّوحيد، فقراءة التَّوحيد باستمرار تُعَلِّق القلب باللَّه سواء في التَّوكل أو الاستعانة أو الخوف مِن اللَّه والخشية منه، ولا يُحْيِي القلب إحياءً إلَّا التوحيد، فلو كان القلبُ فيه شركٌ باللَّه عز وجل والإنسان يقرأ القرآن ما ينتفع، فيه شركٌ وتُصلِّي ما ينتفع، فيه شركٌ وتذكر اللَّه ليلاً نهاراً ما ينتفع؛ لأنَّه مطبوعٌ على القلب، فلا يُزيل ما في القلب إلَّا التَّوحيد، فيونس عليه السَّلام قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فلمَّا تعلق باللَّه نجَّاه اللَّه، واللَّه عز وجل ذكَر أمور التَّوحيد أكثرَ مِن ذِكر اليوم الآخر، فالأصل هو التَّوحيد.

(٤) يعني: الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول لطلابه قِصَّة حَدَث كذا وكذا.

(٥) يعني: اذبح ولو ديكاً صغيراً.

- وَلِيٍّ - فلم يستعظموه[1].

ثم بيَّن لهم أنَّ الأوَّل فاحشة يبقى معها التَّوحيد، والآخر ينافي التَّوحيد كله، وهذا لم يستعظموه مثل ذاك[2].

وهذا هو الواقع من أكثر الناس، فإن النفوس تستبشع أشياء أعظم من استبشاعها ما هو من ضد التَّوحيد».

ولمَّا ذكر المؤلِّف قصَّة بني إسرائيل الَّذين قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقصَّة الذين سألوا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط؛ قال: «ولكنَّ هذه القصَّة تفيد أنَّ المسلمَ بل العالِم، قد يقع في أنواع من الشِّرك وهو لا يدري[3]،

---

(١) يعني: استعظم النَّاس الوقوع في الأعراض بِزِنا المحارم وبعض النَّاس لم يستعظم الشِّرك باللَّه، فالشِّركُ صاحبه خالدٌ مُخلَّدٌ في النَّار، أما ذاك تحت المشيئة، وما ذاك إلَّا بسبب جهلهم بخطورة ترك التَّوحيد وضَرَرِ الشِّرك.

(٢) يعني: لو قرأ الآن الشَّخص مثلاً: «فَلْيَعْبُدُوا هَذَا الْبَيْتِ» تجدُ جَمِيعَ مَنْ خلفَه مِمَّن يحفظون السورة يقولون: ﴿رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ وقد يوجد بعضهم يعبد الأصنام لكنْ لمَّا أخطأ في آيةٍ يرد، وبعضهم مع هذا الرَّد قد تجده يُشْرِكُ باللَّه، فيَسْتَعْظِم الرَّد الخطأ بالآية ولا يَسْتَعْظِم مدلول هذه الآية.

(٣) يعني: مَنْ أسلم مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في الفتح ثمَّ لمَّا ذهبوا إلى حنين فمروا على شجرةٍ وقالوا للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ» يعني: يا رسول اللَّه! ائذن لنا أو أَصْلِحْ لنا أو دُلَّنا على شجرةٍ نستغيث بِهَا، وهم كانوا قد دخلوا في الإسلام ومع ذلك خَفِيَ عليهم، فكيف بمَنْ كان بعيداً عن قراءة التَّوحيد أو مُدارسته ونحوِ ذلك.

وتفيد أنَّ قولَ الجاهل: «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان»[1].

قال شيخنا: «إذ كان السائل في القصَّة الأولى مع نبيٍّ وهو موسى وهم أوسع علماً منه[2]، والسَّائل في القصَّة الثَّانية مع نبيٍّ وهم أعلم وأقدم فضيلة، استحسنوا ذلك ظنّاً منهم أنَّ اللَّه يحبُّه وأنَّه من العبادات التي يتقرَّب بها إلى اللَّه[3].

وهذه الكلمة «التَّوحيد فهمناه»: قد صَدَرَتْ مِن بعض الطَّلبة لمَّا كثر التَّدريس في التَّوحيد – متنِه أو كتبٍ نحوه –، سئموا وأرادوا القراءة في كتب أخرى، وقيل: إنها صَدَرَتْ من المراسلين»[4].

---

(١) يعني: بعض النَّاس تقول له: ندرس التَّوحيد في كتاب التَّوحيد وثلاثة الأصول والعقيدة الواسطية، يقول لك: التَّوحيد معروف، والشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: «أنَّ قولَ الجاهل: «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان» يعني: لو شخص قال: لماذا ندرس التَّوحيد؟ هذا شيء قديم والتَّوحيد معروف، اللَّه واحدٌ ونُثْبِتُ له الأسماء، نقول: غيرُ صحيح، لذلك الشَّيخ محمَّد بن الوهاب قال: «أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان»، وإذا أردت أنْ تعرف جهلَه قل له: أين اللَّه؟ وكثيرٌ مِن النَّاس لا يُجِيب على هذا الجواب.

(٢) يعني: قول القائل: «التوحيد فهمناه» قال: هذا مِن الجهل؛ فانظر إلى مَن كان مع موسى عليه السَّلام فترة طويلة وزمن طويل ومع نبيٍّ ومع ذلك قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾.

(٣) يعني: مَن كان مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في الفتح وعند الكعبة وخرجوا مِن الكعبة خَفِيَ عليهم الشِّرك فكيف بمَنْ بعدَهم.

(٤) لذلك يجب علينا أنْ نفهم التَّوحيد ونعتني بالتَّوحيد ونُقدِّمه على جميع العلوم، ما نحفظ متن «الشَّاطبية» وما حفظنا متناً في العقيدة!

دينُ قريشٍ ودينُ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم

عقيدةُ المشركين ودينُهم:

قريش أناس يتعبدون ويحجون ويعتمرون، ويتصدَّقون ويَصِلُون الرَّحم، ويكرمون الضيف، ويذكرون اللَّه كثيراً ويعترفون أن اللَّه وحده هو المتفرِّد بالخلق والتَّدبير، ويُخْلِصون للَّه العبادة في الشَّدائد، ولكنهم يتخذون وسائط بينهم وبين اللَّه[1]، يدعونهم ويذبحون لهم، وينذرون لهم ويستغيثون بهم؛ ليشفعوا لهم ويسألوا اللَّه لهم، زعماً منهم أنهم أقرب منهم إلى اللَّه وسيلة.

فبعث اللَّه محمَّداً صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أنَّ هذا التقرب والاعتقاد محضُ حقِّ اللَّه، وأن فعلهم هذا أَفْسَد جميع ما هم عليه من العبادات، وصاروا بذلك كفَّاراً مرتدِّين، حلال الدَّم والمال، وقاتلهم رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ليكون الدعاء كله للَّه، والذبح كله للَّه، والنذر كله للَّه، والاستغاثة كلها باللَّه، وجميع أنواع العبادة كلها للَّه.

وانتقد المؤلِّف والشَّارح رحمهما الله من يدَّعي الإسلام، بل يدَّعي العلم، بل يدَّعي الإمامة في الدين وهو لا يعرف من كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إلا مجرَّد التَّلفُّظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، وأنَّ الحاذقَ منهم الذي يرى أن المراد شيء آخر غير اللفظ - يخطئ المعنى المراد، ولا يعرفه -، يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلَّا اللَّه،

---

(١) يعني: يُبيِّن دين قريشٍ أعمالهم صالحة مِن خدمة النَّاس والصَّلاة والإنفاق، لكنَّهم يجعلون عند اللَّه الوسيلة، يتَّخذون معه آخر، وهذا هو الذي أفسد عليهم معتقدَهم، ومِن أجله بعث اللَّه عز وجل إليهم محمَّداً صلى الله عليه وسلم.

ولا يدبر الأمر إلَّا اللَّه[1]، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بأصل الإسلام، هذا أجهل من أبي جهل وأضرابه.

وسمعت أحد هؤلاء يشرح حديثاً يُروى في فضل ليلة النِّصف من شعبان، ونَصُّه: «إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ؛ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ».

ففسَّر المشرك: بأنَّه الشَّخص إذا أتى إلى صاحب القبر وسجد له، وسأله جلب نفع أو كشف ضر فهذا هو الشِّرك.

وقال الشَّارح أيضاً: «كثير ممَّن ينتسب إلى الإسلام من هذه الأمَّة ليسوا على الدِّين، إنَّما معهم اسمه فقط، ولا يعرفون شرك الأوَّلين، وشرك أهل هذا الزَّمان ولو عرفوه لوجدوه هو هو؛ بل شرك مشركي هذه الأزمنة أعظم بكثير».

وقال المؤلِّف والشَّارح في آخر الكتاب: «كثير من الناس إذا بُيِّن له أنَّ التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعمل قالوا: هذا حق، وهذا الذي ندين اللَّه به؛ ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلَّا من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار، ما جهلوا ذلك ولا جحدوه؛ لكن آثروا العاجل والحطام على الآجل - والعياذ باللَّه -».

هذا من أسباب بقاء كثير على الشِّرك.

---

(١) يعني: ليس معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هي إثبات توحيد الرُّبوبية كفَّار قريشٍ يثبتونه، وإنَّما المراد كما قال سبحانه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

قوله في الحاشية: «اذكرنا يا رسول اللَّه عند ربك» لا يجوز أنْ نقول للميت: اذكرني عند ربِّك أو اذكرني بالخير وأنت ميت في القبر أو تذكرني؛ لأنَّه ميت.

هل نقول هذا شِركٌ؟ نعم لأنَّه طلب ميت، فكلُّ دعاء للميت هو شرك - والعياذ باللَّه -، لذلك خَتَمَ شروط الصَّلاة على الميت قال: «الميت يُدعى له ولا يُدعى».

ومن أسباب بقاء عامتهم على الشِّرك: أنَّ كثيراً ممن يدَّعي العلم والإمامة في الدِّين منهم من يشارك عبَّاد القبور في عباداتهم واحتفالاتهم ويأكل من نذورهم.

وإذا شُدِّد الإنكار عليه وانقطعت حجته قال: «هذه مظاهر الكفر» وهذه الكلمة تُخفي تحتها أنَّ عقائدهم في التَّوحيد صحيحة سليمة[1].

ويَعتذر بعضُهم عن عامتهم: بأنهم جهالٌ جهال، أو خرافيون، أو صوفية، أو ما قصدوا بعبادة أصحاب القبور إلا اللَّه، فلا يَخْرجون من دائرة الإسلام بهذه الأفعال وأشباه هذه العبارات التي فيها التهوين من شأن الشرك أو تسويغه.

لم يصرح لهم بالتَّوحيد الذي بعث اللَّه به الرُّسل، ولا بأنَّ ما يفعلونه مثل ما كان يفعل عند اللَّات والعُزَّى وهُبَل؛ بل أعظم، حتى إنَّ بعضهم يحلف باللَّه كاذباً ولا يحلف بمعبوده إن كان كاذباً؛ بل إنَّ بعض من ينتسب إلى الإسلام بدلاً من أن يقول: «أشهد أن لا إله إلا اللَّه» ينشدون:

أَشْـــــــهَدُ أَنْ لَا إِلَـــــــهَ إِلَّا حَيْـــدَرَةُ الأَنْـــزَعُ البَطِـــينُ[2]

وإذا أضيف إلى ذلك، الشَّهادة لهم بالإسلام بموجب البطاقة «الهويَّة»، أو بأنَّ آباءهم كانوا مسلمين، أو أنَّ بلدانهم كانت إسلاميَّة وأُدخلوا في تعداد المسلمين.

فمتى يقلع هؤلاء عن دعاء الأموات، والطَّواف بقبورهم، والعكوف عندها، وبناء المساجد عليها، والذَّبح والنَّذر لها، وسؤال أصحابها العون والمدد، وغير ذلك من

---

(١) يعني: مِن شُبهاتِهم أنَّ هذا ليس كفراً وأنَّه ما أظهرنا الكفر، فلو شخصٌ سَرَقَ يقولون: هذه ليست بسَرِقة لأنَّه ما أظهر السَّرقة، وهو حقيقة وليست مَظهر.

(٢) لذلك الشِّرك إذا وقع في القلب يَصْعُبُ نزعه؛ كما قال سبحانه: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ فحتَّى تُخْرَجُ عبادة العِجل مِن القلوب يحتاج إلى رجوع بقوَّةٍ إلى اللَّه ولا يبقى أثره.

الشِّركيَّات والبدعيَّات التي الإسلام والمسلمون حقاً بُرآءُ منها ومن أهلها؟!.

ومتى يدخلون في الإسلام المبني على خمسة أركان ويسلم البعض الآخر من الإلحاد في الدين، واتباع طريقة العلمانيِّين «اللادينيِّين»؟!.

ومتى تُصَحَّحُ عقائدُ النَّاشئين، ويعرفون الفرق بين دين المرسلين ودين المشركين؟

ومن يتحمل إثم الأريسيين[1]؟!

---

(١) يعني: المزارعين، ويدخل فيها عامَّة النَّاس.

موضوع كتاب كشف الشُّبهات[1]

(للشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب - قدَّس اللَّه روحه -)

أمَّا موضوعه: فقد عبَّر عنه سماحة الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله بقوله: «هذا الكتاب جواب لشُبَهٍ اعترض بها بعض المنتسبين للعلم في زمانه عليه؛ فإن الشَّيخ الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله لمَّا تصدَّى لبيان التَّوحيد والدَّعوة إليه، وتفصيل أنواعه والموالاة والمعاداة فيه، ومصادمة من ضاده وكشف شُبه من شُبِّه عليه - وإن كانت أوهى من خيط العنكبوت -، وبيَّن ما عليه الكثير من الشِّرك الأكبر، اعترض عليه بعض الجهلة المتمعلمين، أَزَّهم إبليس، فجمعوا شُبهاً شبَّهوا بها على الناس.

وزعموا أنَّ الشَّيخ رحمه الله يكفِّر المسلمين وحاشاه ذلك؛ بل لا يكفِّر إلا من عمل مكفِّراً وقامت عليه الحُجَّة.

فأجابهم المصنِّف بهذا الكتاب، وكشف شبههم بما تطمئن به الألباب، من نصوص السُنَّة والكتاب، وما يميز به المُنصِف ما عليه الشَّيخُ وأتباعُه وما عليه أولئك.

وقدَّم مقدِّمة في بيان حقيقةِ دين المرسلين وما دعوا إليه، وحقيقةِ دين المشركين وما كانوا عليه، وبيَّن أنَّ مشركي زمانِه هم أتباع دين المشركين» اهـ.

---

(١) يعني: كتاب «كِشْفِ الشُّبُهَاتِ» يتحدَّث عن ماذا؟

والمراد بـ «الشُّبهة» يعني: الدَّليل الضَّعيف، واللَّه عز وجل يقول: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، لذلك ما نقول: عندهم أدلَّة وإنَّما نقول عندهم شُبَه فقط، شُبَه ليست قويَّة.

مُلخَّص الشُّبُهات وأَجْوِبتُها[1]

هذه «الشُّبَه» أجاب المُصنِّف عنها بجوابٍ مُجمَلٍ، ومَثَّل لذلك بآية ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، وأنَّ الشَّفاعة حقّ، والأنبياء لهم جاه عند اللَّه، ثمَّ أجاب عن كلِّ شبهة بجوابٍ يخصُّها، أو جوابين، أو أكثر[2].

الشُّبهة الأُولى: أن مَن أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة - أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا اللَّه -، وأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً - فضلاً عن عبد القادر أو غيره -، وإنما قصد من الصَّالحين الجاه والشَّفاعة فليس بمشركٍ[3].

والجواب: أنَّ الذين قاتلهم رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم مُقرِّون بما ذكرتَ، وإنَّما أرادوا مثل ما أردت.

الشُّبهة الثَّانية: قوله: إنَّ الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.

الجواب: أن الكُفَّار منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأولياء، ومنهم من يدعو عيسى ابن مريم وأمه، ومنهم من يعبد الملائكة، ولا فرق بين المعبودات، فالكلُّ شرك، والكلُّ مشركون، كفَّر اللَّه من يعبد الأصنام وكفَّر من يعبد الصَّالحين والملائكة.

الشُّبهة الثَّالثة: أنَّ طلب الشَّفاعة منهم ليس بشرك.

والجواب: أنَّ هذا هو قول الكفار سواء بسواء: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه

---

(١) يعني: هذا هو خلاصة الكتاب، وَضَعَ كلَّ شُبهةٍ والرَّد عليها.

(٢) يعني: منهم مَنْ يقولون: هذا ولِيٌّ فلا يمنع أنْ ندعوه مِن دون اللَّه؛ لأنَّ اللَّه يقول عنهم: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(٣) يعني: عندهم هذه الآية ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ شُبْهَةٌ أنَّ الأولياء ما عليهم خوفٌ ولا يحزنون؛ فندعوهم مِن دون اللَّه.

زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] ليس لهم قصد إلا شيء واحد؛ وهو طلب الشَّفاعة من ربِّ الجميع، وأنه كفَّرهم بذلك.

الشُّبهة الرَّابعة: نفيهم عبادة الصَّالحين مع أنَّهم يدعونهم أو يذبحون لهم، ويُقرِّون بأنَّ هذا عبادة وأنَّ المشركين الأولين هكذا كانت عبادتهم.

وإن أنكروا أنَّ هذا عبادة أو جهلوا فهذه الآيات والأحاديث تُبيِّن ذلك.

الشُّبهة الخامسة: أنَّ من ينكر طلب الشَّفاعة من الرَّسول والصَّالحين فهو منكِرٌ لشفاعة الرَّسول ومنتقصٌ للأولياء[١].

والجواب: أنَّ الأمر بالعكس؛ فإنَّ الشَّفاعة ملك للَّه ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يأذن اللَّه إلَّا لأهل التَّوحيد، وأنَّ طلبها من غير اللَّه شرك، وهو سبب حرمانها[٢].

الشُّبهة السَّادسة: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أعطي الشَّفاعة وأنَّها تطلب منه[٣].

والجواب: أنَّ إعطاءه الشَّفاعة إعطاءٌ مقيدٌ لا مطلقٌ[٤]، وشفاعته للعصاة لا

---

(١) يعني: يقولون: مِن احترامنا للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنْ ندعوه مِن دون اللَّه - والعياذ باللَّه -.

(٢) لذلك مَن يقول: أنَّ الذي لا يدعُ الرَّسول صلى الله عليه وسلم لا يُحِبُّه نقول: لا، وإنَّما الذي يدعوه مِن دون اللَّه الرَّسول لا يُحِبُّه؛ لأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أتى بالتَّوحيد، وأُنْزِلَ عليه ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ فخالفوا هذه الأوامر بتلك الشُّبهة الشَّيطانيَّة.

(٣) يعني: الشُّبهة الآن مُختصرة يقولون: ما دام أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أُعْطِيَ الشَّفاعة في الآخرة فنطلب منه الشَّفاعة الآن وهو ميتٌ.

(٤) يعني: اللَّه عز وجل أعطاه الشَّفاعة بشرط أنَّ اللَّه يأذن له ثُمَّ يشفع، والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ميت لا يسمع ولم يُؤذن له بالشَّفاعة.

للمشركين[1].

وأيضاً الشَّفاعة أعطيها غير الرَّسول، فلا يدل على أنه يعطيها من سألها، ولا أنها تطلب منه[2].

الشُّبهة السَّابعة: أنَّ الالتجاء إلى الصَّالحين ليس بشرك؛ فليس مشركاً[3].

الجواب بالتَّحدِّي: يُسأل عن الشِّرك؛ ما هو؟ وعن عبادة اللَّه؛ ما هي؟ فإنه لا يدري ما هو التوحيد، ولا ما هو الشِّرك الذي وقع فيه[4].

الشُّبهة الثَّامنة: قوله: الشِّرك عبادة الأصنام؛ ونحن لا نعبد الأصنام.

فيقال له: هل هم يعتقدون أنَّها تخلق وترزق؟

وإن قال: هو مَنْ قَصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره، يدعونه ويذبحون له يقولون: إنه يقربنا إلى اللَّه زلفى ويدفع اللَّه عنا ببركته، فهذا تفسير صحيح لعبادة الأصنام

---

(١) والذي يأتي للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في الدُّنيا - وهو ميتٌ - ويقول: يا رسول اللَّه! اشفع لي هذا شرك، وشفاعةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أصلاً في الآخرة للموحِّدين وليست للمشركين، فإذا كان في الآخرة ما تنفع فمِن باب أَولى في الدُّنيا ما تنفع؛ لأنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم ما يسمع وهو ميت.

(٢) يعني: كأنْ يقول: لو كنت تعلم أنَّ هذا غير شركٍ فلماذا تخصُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم؟ المَقْبَرة مليئة اطلب مِن أيِّ أحد، فيقول لك: هذا ميت، نقول: الرَّسول صلى الله عيه وسلم أيضاً ميت.

(٣) وهذه غفلةٌ كبيرة كيف تدعو ميت وتقول: هذا ليس شِركاً؟ وهذا يدلُّ على جهلِه وعدم التَّفريق بين التَّوحيد والشِّرك.

(٤) واللَّه سبحانه وتعالى أرسل المرسلين مِن أجل بيان الشِّرك والتَّحذير منه، والدَّعوة إلى التَّوحيد.

وهو فِعْلُكم بعينه، مع أنَّ الشِّرك ليس مخصوصاً بعبادة الأصنام[1].

الشُّبهة التَّاسعة: قولهم: إنَّكم تُكَفِّرون المسلمين - تجعلوننا مثل المشركين الأولين - ونحن نشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، وأن محمداً رسول اللَّه، ونصدِّق بالبعث، ونصلي، ونصوم، ونحج ونعتمر - وهم بالعكس-، كيف تجعلون من كان معه هذه الخصال، وهذه الفروق كمن ليس فيه منها شيء؟

وقد أجاب عنها بتسعة أجوبة؛ بيَّن فيها أنَّ هذه الفروق غير مؤثِّرة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، بل هذه الخصال والفروق مما يتغلظ بها كفرهم[2].

مَن وُجِد منه مُكفِّر - بأن صدَّق الرَّسول في شيء وكذبه في شيء، أو رفع المخلوق في رتبة الخالق، أو غلا في أحد من الصَّالحين فادَّعى فيه الألوهية، أو خالف الشريعة في أشياء - مثل استحلال نكاح الأختين - أو وجد منه نوع من أنواع الرِّدَّة، أو استهزأ باللَّه أو آياته - فهو مرتد.

ليس من شرط الرِّدَّة أن يجمع أطراف الرِّدَّة، أو يجمع الشِّركيَّات، أو أنَّ ربَّ العالمين

---

(١) يعني: كلُّ ما يُسأل مِن دون اللَّه فيما لا يقدر عليه إلَّا اللَّه فهو شرك، سواءً دعوة صنماً أو دعوة جبريل، المهم تركت اللَّه وذهبت إلى غيره، يا جبريل اغفر لي، أو يا صنم اطلب مِن اللَّه أنْ يغفر لي، فهذا الميل هو الشِّرك - والعياذ باللَّه -.

(٢) مثل: لو رجلان توضَّئا للصَّلاة، واحدٌ منهما لمَّا أُقِيمت الصَّلاة تبوَّل ثُمَّ صلَّى والآخر صلَّى، فأنت تقول للَّذي تبوَّل صلاتك باطلة؛ لأنَّه حَصَلَ فيها ناقض، ونقول للآخر: أنت صلاتك صحيحة.

وكذلك مَن يقول «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ونَقَضَها بالشِّرك نقول: هذا شركٌ ما تنفعك «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مِثل هذا الوضوء ما نفعه لأنَّه انتقض، وهذا الذي قال «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثُمَّ فعل الشِّرك ما نفعته لا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

ومعبوده واحد في جميع ما يستحق، فإنَّ الرِّدَّة ردَّتان: ردَّة مطلقة، وهي الرُّجوع عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم جملة، والثَّانية: أن يكفُر ببعض ما جاء به الرَّسول صلى الله عليه وسلم[1].

الشُّبهة العاشرة: أنَّ من قال: «لا إله إلَّا اللَّه»؛ لا يُكفَّر ولا يُقتل ولو فعل ما فعل، واستدلوا بأحاديث.

والجواب: أنها لا تدل على ما زعم المُشبِّه مِن أن مجرد قول «لا إله إلَّا اللَّه» يمنع من التكفير، بل يقولها ناس كثير وهم كفار؛ إما لعدم العلم بمعناها، أو عدم العمل بمقتضاها أو وجود ما ينافيها[2]، ومَثَّل لذلك بأن اليهود يقولونها، وأصحاب مُسيلمة الذين قاتلهم الصحابة، وكذلك الذين حرَّقهم عليٌّ رضي الله عنه، فقولها باللسان لا يكفي في عصمة الدم والمال.

الشُّبهة الحادية عشرة: قولهم: إنَّ الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركاً، لجواز الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة[3].

وقد بيَّن المؤلِّف جهلهم حيث لم يفرقوا بين الاستغاثتين.

---

(١) مثل: لو شخصٌ تبوَّل وتغوَّط وخَرَجَ منه ريحٌ نقول: هذا انتقض وضوؤه ولا تصح صلاته، ولو شخص خَرَجَ منه ريحٌ فقط مثلُه مثلَ ذاك تبطل صلاته، فلا يُشترط في أنْ يكون الشَّخص كافراً بأنْ يأتي بجميع نواقض الإسلام فلو أتى بواحد يكفي.

(٢) في عهد النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم المنافقون يقولون «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ومع ذلك اللَّه قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ فليس كلُّ مَن قال «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فهو موحِّدٌ صادقٌ في توحيدِه.

(٣) الأنبياء في الآخرة أحياء واللَّه عز وجل يأذن لهم بالشَّفاعة، وأمَّا في الدُّنيا الأنبياء ماتوا واللَّه لم يأذن لهم بقبول الشَّفاعة مِن النَّاس.

الشُّبهة الثَّانية عشرة: استدلالهم على أنَّ الاستغاثة بالأموات والغائبين ليست شركاً بعرضها على إبراهيم من جبريل عليهما السلام[1].

والجواب: أنَّ هذه الاستغاثة جِنسٌ، وتلك جنس آخر، فمن سوَّى بينهما فقد سوَّى بين المتباينين[2].

الخاتمة: في بيان أنَّ التَّوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلَّ شيء من هذا لم يكن الرَّجل مسلماً.

هذا، واللَّه أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع قريب مجيب، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه.

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

تم الفراغ من مقدِّمة الكتاب في

٢٤/ ٤/ ١٤١٧هـ

---

(١) والحديث ضعيفٌ.

(٢) يعني: لمَّا أُلْقِي إبراهيم عليه السلام مِن المنجنيق إلى النَّار عرض جبريل عليه قال: تريد شيئاً مني فاللَّه أرسلني لك، فقال: منك لا، ولكنَّ الحديث ضعيف.

لكن على فَرْضِ صِحَّته فاللَّه هو الذي أرسله، فكَون أنَّ اللَّه أرسل جبريل فاللَّه أمر جبريل بأنْ يُعِينَه، أمَّا الاستغاثة بالميت فاللَّه نهى عن هذه الاستغاثة به، ففرقٌ بين الاستغاثتين.

كشف الشُّبُهات[1]

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ابتدأ المُصنِّف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز، وتأسَّياً بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في مكاتباته ومراسلاته؛ فإنه كان يبدؤها بالبسملة، وعملاً بحديث «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ - أي: حال وشأن يُهتم به شرعاً - لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فَهُوَ أَقْطَعُ»[2].

---

(١) قوله في الحاشية: «والشُّبهة: الالتباس، والشُّبهات ما يلتبس فيه الحق بالباطل، والحلال بالحرام على بعض الناس» مِن أعظم العقوبات - والعياذ باللَّه - على الإنسان أنْ يُطْمَسَ قلبه فلا يعرف الحقَّ مِن الباطل، أحياناً تَجِدُ النَّص واضحٌ عندك وعند غيرك وهو يُجادل ضِدَّه، وهذا مِن الرَّان على القلب - والعياذ باللَّه - فلا يُمَيِّز الحقَّ مِن الباطل.

فإذا رأيت شخصاً يجادل في نصوصٍ واضحةٍ ومُسلَّمات في الدِّين؛ فاعرف أنَّ اللَّه سلَّط عليه عُقوبة مِن أشدِّ العُقوبات في الدنيا والآخرة.

(٢) جَمِيعُ الأحاديث الَّتي في التَّرهيب مِن عدم البدء بالبسملة ضعيفةٌ، لكن الثَّابت أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان في خُطَبِه يُثْنِي على اللَّه عز وجل، والحمد مِن ثناء اللَّه، فلو شخصٌ يقول: بسم اللَّه الرحمن الحمد لِلَّه رب العالمين، هذا يكون قد أصاب السُّنة بالثَّناء على اللَّه، فأوَّل آيةٍ في كتاب اللَّه ثناءٌ على اللَّه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

مقدِّمة المؤلِّف

قدَّم المؤلِّف رحمه الله بعد البسملة مقدِّمة نافعة في بيان حقيقة دين المرسلين وما دعَوْا إليه، وحقيقة دين المشركين وما كانوا عليه؛ ليعلم الإنسان حقيقة دينهم عند ورود الشُّبهات[1]، ويعلم من هو أولى بدين المرسلين من دين المشركين، ثم ذكر شبهاتهم التي أوردوها عليه، وأجاب عنها حيث قال: «وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ - مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - جَوَاباً لِكَلَامٍ ٱحْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا ...» إلخ، وهي موضوع الكتاب.

[2](ٱعْلَمْ) هذه الكلمة يُؤتَى بها عند ذكر الشَّيء الذي له أهمية وينبغي أن يُصغي إليه المتعلِّم، ويتفهَّم ما يُلقى إليه، وما قرَّره المصنِّف في هذا الكتاب، حَقِيقٌ بأن يُصغى إليه غاية الإصغاء.

هذه الكلمة (**ٱعْلَمْ**)[3] يأتي بها المُتَكَلِّمُ لقصد التَّفَهُّم لِما بعدها؛ أي: اجمع قُوَاك وحواسك، وكن متفهماً لما يُلقى إليك بعدها[4]، ولا شيءَ أعظمُ من أن يُعتنى به ويُلقى له

---

(١) هذا الكلام كلام الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم، فالشَّيخ رحمه الله كفيفُ البصر ويشرح هذا الكلام لطُلَّاب صِغار السِّن، بدأوا الآن في ثاني ابتدائي فيُعطيهم هذا العِلم الغزيرَ بِهَذه الالفاظ الجزلة، وهذا الشَّرح حَضَرَه الشَّيخ ابن باز رحمه الله لمَّا كان عند الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم يشرح هذا المتن، وأنتم ترون وتسمعون فانظر إلى هذه الألفاظ الجزلة وطُلَّاب قِلَّة ويُعْطِيهم هذا العِلم الغزيرَ؛ لذلك خرجوا علماء كالشَّيخ ابن باز رحمه الله.

(٢) [مقدمة في بيان دين المرسلين وبيان دين المشركين]

(٣) كلمة «ٱعْلَمْ» تكرَّرت مرتين، هذا مرَّة شرحٌ للشَّيخ وهذا مرَّة شرحٌ للشَّيخ في درسٍ آخر شرحُ ثانٍ.

(٤) وهذا مأخوذٌ مِن قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لأنَّه توحيد اعلم.

=

السمع والقلب أعظمُ من كلمة التوحيد[1].

(رَحِمَكَ اللَّهُ) أي: غفر لك فيما مضى، ووفقك فيما يستقبل؛ وكثيراً ما يجمع المصنِّف رحمه الله بين الدعاء للطالب، مع ما قرَّره ووضَّحَه، وهذا من حُسن مسلكه ومحبته ورحمته بالمسلمين[2].

[3](أَنَّ التَّوْحِيدَ) الذي بُعثت به الرُّسل، وأوَّل واجبٍ على المُكلَّف، علماً وعملاً.

(هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ)[4] فـ«أل» فيه للعهد، والمُصنِّف كثيراً ما يعتمد هذه العبارة، وهي أحسن التعاريف وأخصرها.

=

والمُصنِّف رحمه الله قال: «اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ»، وكما أخبرناكم سابقاً أنَّ الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب كثيرُ الاستدلال بالقرآن وشديدُ الاستنباط مِن القرآن، سواء في مُصنَّفاته واستدلالاته وفي القواعد التي يضعها تجدها مِن القُرآن أو مِن السُّنَّة.

(١) لأنَّها هي الَّتي تُدخلك الجنَّة بفضل اللَّه، يعني: لو أنَّ الشَّخص ما ينطق بالتَّوحيد ما ينطق كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مُتكبِّر ما يدخل الجنَّة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لذلك ما يدخلون الجنَّة؛ فدلَّ على أهميَّة هذه الكلمة وأنَّها تُدخلك الجنَّة.

(٢) هذا شرحٌ آخر في درسٍ ثانٍ في شرح «كَشْفِ الشُّبُهَاتِ» كان يقول كذا، ثُمَّ في الشَّرح الثَّاني قال: «أي: غفر لك فيما مضى، ووفقك فيما يستقبل» ولا تناقض بينهما وإنَّما مزيدُ شرح، وباب الرَّحْمَة يتضمَّن أنَّ اللَّه يغفر لك ما مضى والتَّوفيق في المستقبل، أو إذا قلت: الرَّحْمة سؤال المرغوب، والمغفرة سؤال ما يُخاف منه، يعني: يا ربّ لا تُعذِّبني هذه المغفرة، أمَّا الرَّحْمة يا ربّ أريد الجنَّة.

(٣) [تعريف التَّوحيد]

(٤) «التَّوْحِيدُ هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ» هذا أقصر تعريفٍ للتَّوحيد، ولو لم يأتك مِن الكتاب هذا إلَّا هذا التَّعريف فقط يكفي، فمَن عرف التَّوحيد ما هو وعَمِلَ به دخل الجنَّة.

نعرف أنَّ التَّوحيد ثلاثة أقسام:

الأوَّل: توحيد الألوهيَّة[1] والعبادة، وهو المَعنِيّ هنا.

الثَّاني: توحيد الرُّبوبية، وهو: العِلم والإقرار بأنَّ اللَّه هو الخالق الرَّازق المدبِّر وحده[2].

الثَّالث: توحيد الأسماء والصِّفات، وهو أَنْ يوصف اللَّه بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمَّد صلى الله عليه وسلم في السُّنة، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

والقسم الأوَّل هو مدلول كلمة «لا إله إلا اللَّه» مطابقة وإن كانت قد دلَّت على القسمين الأخيرين بطريق التَّضمُّن[3].

و«العبادة»: مشتقَّة من التَّعبُّد، وهو التَّذلُّل والخضوع، يقال: طريق مُعبَّد؛ أي: مذلَّل قد وطئته الأقدام، وسمِّيت وظائف الشَّرع على المكلَّفين عبادات؛ لأنَّهم يفعلونها

---

(١) يصح أنْ نقول: توحيد الألوهيَّة، ويصح أنْ نقول: توحيد الإلهية هذا أو هذا، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان يُعَبِّر كثيراً بالإلهية ويُعَبِّر بالألوهيَّة.

(٢) يعني: مِن مُقتضيات الرُّبوبيَّة الخالق الرَّازق المُدبِّر المالك.

(٣) يعني: توحيد الألوهيَّة إذا قلت: أنَّ اللَّه واحد داخلٌ في معنى هذا الكلام معانٍ كثيرة؛ لأنَّك أفردته أصلاً، وداخلٌ فيه الأسماء والصِّفات لأنَّ هذا الرَّب له أسماءٌ وصفات، فتوحيد الألوهيَّة يدخل فيه توحيد الرُّبوبيَّة والأسماء والصِّفات، وتوحيد الرُّبوبيَّة يستلزم توحيد الألوهيَّة ما دام وجدت ربّ خلقك رزقك يلزم منك أنَّك تُوحِّده.

خاضعين ذليلين[1].

وفي الشَّرع لها تعاريف عند العلماء:

أحدها: ما عرَّفها به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «العبادة اسم جامع[2]، لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه[3]، من الأقوال والأعمال، الظَّاهرة والباطنة[4]».

---

(١) يعني: المقصود مِن خَلْقِ الخَلْقِ أنْ يكونوا ذليلين للَّه، وكلُّما كان العبدُ ذالًّا للَّه أكثر كلُّما رفعه اللَّه أكثر، وكلُّ مَن استكبر اللَّه عز وجل أنزل من قدره بقَدر كِبره، وبقَدْرِ خُضُوعِك وذُلِّك للَّه يرفعك اللَّه، لذلك العبادة هي التَّذلُّل.

لذلك أفضلُ هيئةٍ للإنسان في خضوعه للَّه أنْ يضع جبهتَه في التُّراب للَّه في السُّجود، وفي الحجِّ لا يوجد لِباس وإنَّما إحرام فقط يُغطي العورة تذلُّلٌ للَّه، تجوع في الصَّوم تذلُّلٌ للَّه خصوعٌ له لا تأكل للَّه، وفي الصَّلاة ما تتحرَّك ولا تلتفت بجسدِك تذلُّلٌ للَّه.

فكلُّ عبادةٍ تفعلُها مثل: قراءة القرآن وطلب العِلم مُتذلِّل للَّه خاشع للَّه فمعناه أنَّك تؤدِّي العبادة على أكمل وجه، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: «مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ؛ فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ العُبُودِيَّةِ» تُريد أْ تَسْعَدَ في حياتِك تذلَّلْ للَّه تسبيح ذِكر وهكذا.

(٢) يعني: لفظ «العبادة» اسمٌ يجمع كلَّ العبادات، مثل لو تقول: الطُّلاب اسمٌ يجمع جَمِيعَ الطُّلاب، هذا معنى اسمٌ جامع.

(٣) كلُّ أمْرٍ أمَر اللَّه به في الدِّين فهو يُحِبُّه ويرضى عنه وعن فاعِله ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ﴾.

(٤) كلُّ ما يفعلُه ابنُ آدم لا يخلو مِن قولٍ أو فعل، وهذا القول ظاهرٌ أو اعتقاداتٌ باطنة، مثل: التَّوكل والخوف مِن اللَّه والخشية مِن اللَّه.

فإذا لو قال لك شخصٌ: ما هي العبادة؟ تقول: كلُّ ما يُحِبُّه اللَّه هذه هي العبادة.

ومنها: ما عرَّفها الفقهاء بقولهم: «العبادة ما أُمر به شرعاً، من غير اطِّرادٍ عُرفيٍّ[1]، ولا اقتضاءٍ عقليٍّ[2]».

ومنها: ما عرَّفها به ابن القيِّم رحمه الله بقوله:

وَعِبَـــادَةُ الـــرَّحْمَنِ غَايَـــةُ حُبِّـــهِ مَـــعَ ذُلِّ عَابِـــدِهِ هُمَـــا قُطْبَـــانِ[3]
وَعَلَيْهِمَـــا فَلَـــكُ العِبَـــادَةِ دَائِـــرٌ مَـــا دَارَ حَتَّـــى قَامَـــتِ القُطْبَـــانِ
وَمَـــدَارُهُ بِـــالأَمْرِ أَمْـــرِ رَسُـــولِهِ لَا بِـــالهَوَى وَالـــنَّفْسِ وَالشَّـــيْطَانِ

[4](وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ)[5] عرَّفه بأنَّه دين جميع المرسلين من أوَّلهم إلى آخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّه

---

(١) يعني: السَّيْرُ على العُرْفِ مثل: لبس العِمامة الطاقيَّة ما أمر به الشَّرع وليس مُطَّرِدٌ عُرفاً يعني: ليس سائر النَّاس عليه.

اطراد يعني: استمرار عُرْفٍ عليه، فاستمرار العُرف هذا ما يُعَدُّ عبادة، فلو تعارف النَّاس الآن أنَّهم يجلسون على سِجاد ما نقول: الجلوس على السِّجاد عبادة هذا عُرف.

(٢) يعني: لَمْ يأت بِهَا العقل، فلو شخصٌ قال: أنا أريد الفجر أربع ركعات لأنَّي نشيط، نقول: لا، هذا عقلك اقتضاءه، ما نريده وإنَّما نريد ما أُمر به شرعاً.

(٣) يعني: ما هي العبادة؟ ما اقتضت الحُبَّ والذُّلَّ - أي: حُبُّ اللَّه والتَّذلُّل له -.

(٤) [التوحيد دين الرسل]

(٥) يعني: «التَّوْحِيدُ هُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ» قال: «وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ» يعني: لو قال لك شخصٌ: بماذا تكلَّم الرُّسل مع أقوامِهم؟ فقل: بالتَّوحيد؛ لذلك ما مِن نبيٍّ إلَّا لازم أنْ يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ووحِّدوا اللَّه.

وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وإن تفرَّقت شرائعهم كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[1] [المائدة:٤٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» فدين جميع الرسل واحد والذي بعثوا به هو عبادة اللَّه، والذي بُعثوا به هو الذي من أجله خُلِق الخلق، وهو الذي من أجله أُرسِلت الرسل وأنزلت الكتب.

(١) مثل: الصَّوم في شريعةٍ قد يكون شهراً أو قد يكون أقل مِن شهر أو أكثر مِن شهر.

(فَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام)[1] نوح هو أوَّل رسول بُعث إلى أهل الأرض كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الآية[2] [النساء:١٦٣].

وكان بنو آدم قبله عشرة قرون، كلهم على دين الإسلام[3].

[4](أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ)، فأوَّل ما حدث الشِّرك في قومِ نوحٍ بسبب الغلوِّ - وهو مجاوزة الحدِّ في محبَّة الصَّالحين وتعظيمهم فوق ما شرعه اللَّه[5] -، عظَّموهم تعظيماً غير سائغ لهم، بأن عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، وإن كانوا ما عبدوهم، وإنما عبدوا الصُّور، لأنهم لم يأمروهم بعبادتهم، وإن كانوا أيضاً لم يعبدوا

---

(١) سببُ وقوع الشِّرك سابقاً أو لاحقاً أمران:

الأمر الأول: العكوف على القبر، والمراد بالعكوف الجلوس عند القبر ويأتون إلى القبر ويزورون القبر.

والأمر الثاني: التَّصوير، تصوير صورة الميت، أو نحت صنمٍ له، أو نحت صورةٍ له بالحجارة أو نحو ذلك؛ كما فُعِلَ مع قوم نوح، وسيأتي ذِكر الشَّارح رحمه الله لذلك.

(٢) لمَّا خلق اللَّه عز وجل آدم عليه السلام كان النَّاس جَمِيعاً على الإسلام ثُمَّ وقع الشِّرك، اللَّه يقول: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الإسلام فلمَّا وقع الشِرك ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ يعني: بسبب الشِّرك تفرَّق النَّاس، ونزل عليهم من العذاب بسبب الشِّرك، لذلك أوَّل عذابٍ عُذِّبت به أمّة هي الغرق، وأشدُّ طاغيةٍ ذكَره اللَّه في القرآن عذَّبه اللَّه بالماء – فرعون -.

(٣) يعني: ألف سنة مِن آدم لا يوجد شِركٌ في الأرض، فأتى الشَّيطان وأوقع الشِّرك في بني آدم؛ بسبب التَّصوير كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أنْ صوِّروا تصاويرهم.

(٤) [سبب الشرك: الغلو في الصالحين].

(٥) يعني: رجلٌ صالحٌ مات عظَّموه ووضعوا صورته ويأتون إلى قبره ويجلسون عنده حتَّى يذَّكَّرون الأعمال الصَّالحة؛ فوقع الشِّرك.

الصُّور إنما عبدوا الشَّيطان في الحقيقة، لأنه الذي أمرهم.

وبه تَعرِف مضرَّة الغلوِّ في الصَّالحين، فإنَّه الهلاك كل الهلاك، فإنَّ الشِّرك بهم أقرب إلى النُّفوس من الشِّرك بالأشجار والأحجار[1]، وإذا وقع في القلوب صَعُب إخراجه منها؛ ولهذا أتت الشَّريعة بقطع وسائله وذرائعه الموصلة إليه، والمقربة منه.

والوسائل إما قوليَّة أو فعليَّة، وهؤلاء غَلَوْا فعلاً؛ غلوا بكثرة التردد إلى قبورهم، وهذا فيه مشروع لكن زادوا فيه[2]، وغَلَوا بالعكوف، وهو نفسه عبادة ووسيلة إلى عبادة أربابها؛ فلمَّا رأى منهم الشَّيطان ذلك زيَّن لهم تصويرهم، وهاتان الذريعتان - التصوير والعكوف - من أعظم الوسائل الموصلة إلى الشِّرك كما تقدَّم، ويأتي.

ثم ذَكر المَغْلوَّ فيهم: (وَدٍّ، وَسُوَاعٍ، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرٍ) وكانوا أهل خيرٍ وعلمٍ وصلاحٍ، فماتوا في زمنٍ متقاربٍ[3]، فأسِفوا عليهم وفقدوا ما معهم من العلم، فزيَّن لهم الشَّيطان التَّردُّد إلى قبورهم واللبث عندها.

ثم أوقعهم فيما هو أعظم من ذلك فقال: ألا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه صار أهون عليكم من التَّردُّد إلى قبورهم واللبث عندها؟

---

(١) يعني: الذي يأتي إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ويدعوه معناه غلا فيه، يعني: رَفَعَهُ مِن منزلة المخلوق إلى منزلة الخالق غلا فيه، لكنْ لو تأتيه مِن غير غلوٍّ تقول: يا ربّ سلِّم على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وارفع درجته ما غلوت فيه، أمَّا أنْ تغلو فيه تقع في الشِّرك، يعني: تُخرجه مِن طور مخلوقٍ إلى خالق.

(٢) زيارة القبور مشروعة لكنْ ما تجلس عند القبر، وإنَّما تُسلِّم عليه وتذهب.

(٣) يعني: هؤلاء أشخاص صالحون لكنْ غُلِيَ فيهم.

فدلَّهم على تصوير تماثيلهم[1]، وقال: إذا فعلتم ذلك كان أشوق لكم إلى الإكثار من العبادة، فكأنكم تشاهدونهم في مجالسهم، وعلى حالاتهم، ولم يكن مفقوداً منهم إلَّا الأجسام فقط؛ ففعلوا.

ثم انقرض ذلك الجيل وأتى جيل آخر لم يدروا لِمَ صُوِّرت تلك الصُّور[2]، فقال: إن مَن كان قبلكم كانوا يستسقون بهم المطر - يعني: يسألونهم ويزعمون أنهم يسألون اللَّه لهم - فوقع الشِّرك في بني آدم بسبب الغلوِّ في الصَّالحين، فهو الباب الأعظم المفضي إلى الشِّرك باللَّه.

ولمَّا أرسله اللَّه إلى قومه فدعاهم إلى عبادة اللَّه وحده ولم يجبه إلَّا القليل، أمره اللَّه بصنع السفينة فصنعها، وأرسل اللَّه على أهل الأرض الطُّوفان، وأغرق جميع مَن عَصَوه[3].

---

(١) يعني: لمَّا مات هؤلاء الصَّالحون قومُهم قالوا: فقدنا العمل الصَّالح ماذا نفعل حتَّى نعمل الصَّالحات؟ أتاهم الشَّيطان قال لهم: اجلسوا عند قبورهم حتَّى تتذكَّرونَهم فجلسوا عند قبورهم، قال: لا، يوجد أمرٌ آخر بدل ما تأتي تذهب إلى المقبرة بعيد ضَعْ صورة في مجلسِك إذا رأيتها تتشجَّع على العبادة فوضعوا مثل هذه، ثُمَّ أتى أجيال قالوا: آباءنا ما وضعوا هذا الصَّنم إلَّا ليعبدونه فعبدوه فوقع الشِّرك؛ فانظر إلى حبائل الشَّيطان كيف هي.

(٢) يعني: سببُ عبادةِ مَن وصل إلى الشِّرك موت العلماء واندثار العلم؛ فدلَّ على أنَّ العلم يمنع مِن الشِّرك وينقذ النَّاس على التَّوحيد.

وبناءاً عليه: العلم سببُ مرضاة اللَّه ومِن هنا يتبيَّن فضل وأهمِّية العِلم؛ لأنَّه يدفع باب غضب اللَّه بسبب الشِّرك.

(٣) وهذا يدلُّ على أنَّ الشِّرك إذا وقع في القلب صَعُبَ إخراجه، نوحٌ عليه السَّلام مكث ألف سنةٍ إلَّا خمسين عاماً ما آمن معه إلَّا قليل؛ لأنَّ الشِّرك توغَّل - والعياذ باللَّه - في القلب، واللَّه =

ورُوي أنَّ السيلَ ألقى هذه الأصنام في جدة لمَّا أغرق قوم نوح، ثمَّ بعد مضي سنين أتى إبليس إلى عمرو بن لُحَي الخُزاعيِّ - وكان رئيس قومه تلك المدَّة - فقال له: ائت جدَّة، تجد بها أصناماً مُعدَّة، فَرِّقها في العرب، وادعُ إليها تجب، فإنَّك إذا فعلت ذلك لم يختلف عليك منهم اثنان؛ ففعل - لعنه اللَّه - فعُبِدت[1].

=

يقول عن بَني إسرائيل: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يعني: كأنَّ القلب امتلئ جَمِيعُهُ مِن حُبِّ العِجل فخَرج حُبُّ اللَّه منهم، يعني: أنَّ الشِّرك يَطمس القلب كذلك البِدعة تطمس القلب.

(١) عمرو بن لحي الخُزاعي لمَّا ذهب إلى الشَّام رأى أنَّهم يعبدون الأصنام فجلبها مِن الشَّام، وإلَّا كان أهل مكَّة على التَّوحيد، فلمَّا وضعها أشركوا - والعياذ باللَّه - فبُعِثت إليهم الرُّسل.

(وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم) وهو خاتم النَّبيِّين، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّه وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

(وَهُوَ الَّذِي كَسَّرَ صُوَرَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ) المعبودة على عهد نوح عليه السلام، صور وَدٍّ وسُوَاع ويَغُوث ويَعُوق ونَسْر.

(١)فانظر إلى آثار الشِّرك وعروقه إذا علقت متى تزول وتنمحي؟! فإنَّ هذه الأصنام بقيت من يوم عُبِدت من دون اللَّه حتى بُعِث محمَّد صلى الله عليه وسلم وكَسَّرَها، فالشِّرك إذا وقع عظيم رفعه وشديد؛ فإنَّ نوحاً مع كمال بيانه ونصحه ودعوته إياهم ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، أخذ ألف سنة إلا خمسين عاماً ما أجابه إلا قليل، ومع ذلك أغرق اللَّه أهل الأرض كلَّهم من أجله، ومع ذلك تلك الأصنام الخمسة ما زالت حتى بُعِث محمَّد صلى الله عليه وسلم وكسَّرها.

فيفيدك عِظَم الشِّرك إذا خالط القلوب صعب زواله(٢)، كيف أنَّ أصناماً عُبِدت على وقت أوَّل الرُّسل وما كسَّرَها إلا آخرهم!

(٣)(أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أُنَاسٍ) قومه قريش ومن يلتحق بهم، وإلَّا فهو بُعث إلى النَّاس كافَّة - أحمرِهم وأسودِهم - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّه إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف:١٥٨].

(يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيراً) ويَصِلُون الرَّحِم، ويكرمون

---

(١) [إذا وقع الشرك في القلب صعب زواله]

(٢) يعني: مِن نوحٍ عليه السلام ومع كثرة الرُّسل إلى محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ما تركوا عبادة تلك الصُّور والتَّماثيل مِن دون اللَّه.

(٣) [الشرك يفسد جميع العبادات]

الضَّيف، ويعرفون أنَّ اللَّهَ وحده هو المُتفرِّد بالخلق والتَّدبير، ويخلصون في الشِّدَّة.

(وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ المَخْلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ[1] - يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ[2] - مِثْلَ المَلَائِكَةِ، وَعِيسَى، وَمَرْيَمَ، وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) هذه آفتهم، وهي اتِّخاذهم وسائط بينهم وبين اللَّه، فعبادتهم لا تنفعهم، إذ جعلوا للَّه شريكاً في العبادة؛ فهذا أفسدَ جميع ما هم عليه من هذه العبادات، وصاروا بذلك كفاراً مرتدِّين حلال الدم والمال، فهذه هي عقيدة المشركين الأوَّلين وهذا دينهم.

فأهم شيء معرفة دين المرسلين فيُتَّبع، ومعرفة دين المشركين والشَّياطين فيُجتَنَب؛ فإنَّ من لا يعرف الجاهليَّة لا يعرف الإسلام، وللشَّيخ رحمه الله مؤلَّفٌ في «مسائل الجاهلية».

فاعرف حقيقة دين المشركين كلمةً كلمةً، وفقرةً فقرةً، واعرف تفاصيلها، ويأتي بعضها وبعض تفاصيلها بأدلَّة معروفة.

---

(١) يعني: أنَّ كفَّار قريشٍ لا يفعلون أموراً فيها فسقٌ خالص، بل عندهم عبادة وصيام وحج وإحسانٌ للنَّاس، ولمَّا كان عندهم الشِّرك ما نفعهم هذا.

(٢) يعني: الإسلام سهلٌ فقط يتركون القُرْبة هذه والوسيلة هذه يدخلون الجنَّة، لذلك اللَّه يقول: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ شيءٌ بسيط، لكنَّ الشَّيطان - والعياذ باللَّه - يسعى إلى ما يغضب الرَّب.

(فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم) وهم على تلك الحالة (يُجَدِّدُ لَهُمْ) ما اندرس واخلولق من (دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام)، فإنَّ قريشاً ومَنْ يليهم - ذرِّيتَه وورثتَه -، كانوا على هذا الدِّين الحنيف، ولكنه انْدَرَس واخْلَوْلَق فيهم بسبب عمرِو بن لُحَيٍّ بعد أن استخرج الأصنام وفرَّقها في العرب، وغيَّر عليهم التَّلبية، فتغيَّر بسبب ذلك.

(١)(وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبَ وَالِاعْتِقَادَ) الذي يباشرون به الآلهة (مَحْضُ حَقِّ اللَّهِ) خالصُ حقِّ اللَّه من العبادة (لَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ؛ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا)، وإذا كان لا يصلح لأهل الدِّين والفضل، فمَنْ دُونهم بطريق الأولى، فلا يُعتَقد ولا يُطلب ولا يُقصَد إلا اللَّه تعالى، ولا يُوسَّط من الخلق أحدٌ بينه وبينهم ولا يُتقَرَّب به، ولا يَصلُح ولا يدنو مِنْ أن يَصلُح لبشرٍ من حقِّ ربِّ العالمين شيء، وبهذا تعرف دين قريشٍ ودين محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم(٢).

---

(١) [العبادة حقٌّ خالصٌ للَّه وحده]

(٢) دينُ قريشٍ: دعاء الأصنام وجعلها وسائط، ودينُ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: دعاء اللَّه عز وجل وحده.

[1](وَإِلَّا فَهَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ مُقِرُّونَ، يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحْيِي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا اللَّهُ[2]، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ)، فهم مُقرُّون مذعنون بتوحيد الرُّبوبيَّة، لم ينازعوا فيه، ولا جاءهم الخَلَلُ من ذلك؛ فهم يعرفون اللَّه ويفعلون أنواعاً من العبادات، إنما نازعوا في توحيد العبادة، وجاءهم الخلل بجعل الوسائط شركاء مع اللَّه في العبادة، زعماً منهم أنَّهم أقرب منهم إلى اللَّه وسيلة، هذا هو شركهم الذي صاروا به كفاراً مرتدِّين.

فحقيقة دين قريش قبل مَبْعَث النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّهم يتَّخذُون شُفعاء – يدعونهم، ويذبحون لهم، ويهتفون بأسمائهم – يقولون: لسنا أهلاً لسؤال اللَّه، فيتَّخذون وسائط أقرب منهم إلى اللَّه، ليشفعوا لهم ويسألوا اللَّه لهم! فأخبرهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ هذا مَحْضُ حقِّ اللَّه، لا يصلح منه شيء لغير اللَّه، أما توحيد الرُّبوبيَّة فهم معترفون به.

[3](فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ – الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم – يَشْهَدُونَ بِهَذَا[4]؛ فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ

---

(١) [المشركون لم ينازعوا في توحيد الربوبية]

(٢) يعني: مقرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة لكن الإشكال عندهم في الألوهيَّة.

(٣) [الأدلَّة على ذلك]

(٤) يعني: المراد أنَّ الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله يذكر الأدلَّة على أنَّ كفَّار قريشٍ مقرُّون بربوبيَّة اللَّه؛ ومع ذلك لم يُدخلهم الجنَّة.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾) سيجيبونك إذا سألتهم أنَّ الذي يفعل ذلك هو اللَّه (﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]) الشِّرك به في ألوهيَّته وعبادته.

(وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾) يا محمَّد: (﴿لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾) ملك له (﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾).

(﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾) المالك لها وحده هو اللَّه، (﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾) وتستدلُّون بها على أنه المُستحقُّ أَنْ يُعبَد إذا كانت مُلكه وليس لهم فيها شركة، فتفردونه بالعبادة وتتركون مَن سواه من العباد الذين ليس لهم من مُلْكٍ في الأرض ومن فيها.

(﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾) يعني: وحده فإنَّهم ما أشركوا في الرُّبوبيَّة، إنَّما أشركوا في الألوهيَّة بجعلهم الوسائط، (﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩]) أي: كيف تُخدَعون وتُصرَفون عن طاعته وتوحيده، مع اعترافكم وعلمكم بأنَّه وحده الخالق المتصرِّف؟!

(وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ) الدَّالَّة على إقرار المشركين بالرُّبوبيَّة، كقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّه قُلِ الْحَمْدُ للَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّه فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١].

وهذا ممَّا احتجَّ به تعالى عليهم، احتجَّ عليهم بما أقرُّوا به من ربوبيَّته على ما جحدوه من توحيد العبادة، فإنَّ توحيد الرُّبوبيَّة هو الأصل وهو الدَّليل على توحيد الألوهيَّة، فإذا كان اللَّه تعالى هو المُتفرِّد بخلق السَّموات والأرض لم يُشْرِك فيه مَلكاً مقرَّباً ولا نبيّاً مُرسَلاً، فكونه هو الخالق وحده يقتضي أن يكون هو المعبود وحده؛ فإنه من أبعد شيء أن يكون المخلوق مساوياً للخالق، أو مستحقاً لما يستحقُّه الخالق، فلا يُسوَّى ولا يُجعل مَن لا

شركة له في شيء شريكاً لمن هو مالك كل شيء، فإقرارُهم بالرُّبوبيَّة ناقص، لو كان حقيقة لعملوا بمقتضاه، لو تمَّموا أنه الخالق وحده، الرازق وحده، لَمَا جعلوا له نداً من خلقه؛ لكنه مع ذلك فيه ضعف؛ لو أنه تام لَمَا تخلَّف عنه إفراده بالعبادة.

[1](فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا)[2] إذا تحقَّقت ممَّا تقدَّم أنَّهم مُقرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة (وَأَنَّهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ) - في الإسلام - (الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)، لم يكونوا مُوحِّدين، بل كانوا مشركين، دليلُ ذلك الآيات المُتقدِّم ذكرها.

(وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ) وصاروا بجحده كفَّاراً حلال الدَّم والمال (هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ).

إذا تأمَّلت ما مرَّ من (فَإِذَا تَحَقَّقْتَ) وما عُطف عليها، وأنه ليس توحيد الرُّبوبيَّة كافياً في الدُّخول في الإسلام، وأنه لا بد من ثمرته وهو توحيد الألوهية، وأنَّ التَّوحيد الذي أشركوا فيه ولم يخلصوا فيه هو توحيد العبادة (الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا «الِاعْتِقَادَ») فيقولون: فلان فيه عقيدة، يعني: يصلح أن يعتقد فيه أنه ينفع؛ إذا ادَّعوا في شخص الاعتقاد، يعني: الادِّعاء فيه الألوهية (كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً) يعني: المشركين الأوَّلين يدعون اللَّه ليلاً ونهاراً.

(ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو المَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صَلَاحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ) ليشفعوا له، (أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالِحاً - مِثْلَ اللَّاتِ -، أَوْ نَبِيّاً - مِثْلَ عِيسَى -)، من الأوَّلين في بعض الأحيان من يدعو الملائكة ... إلخ، هذا هو حقيقة شركهم فقط؛ فحقيقة دينهم أمران:

الأوَّل: أنَّهم يزعمون أن هذا شيء يحبه اللَّه.

---

(١) [توحيد الرُّبوبيَّة لا يكفي وحده في الدُّخول في الإسلام]

(٢) يعني: مقرُّون بتوحيد الرُّبوبيَّة.

الثَّاني: أنَّها تقربهم إلى اللَّه زلفى؛ فتقرَّبوا إلى اللَّه بما يبعدهم منه.

(١)(وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشِّرْكِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ العِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾) قيل: المراد بالمساجد: أعضاء السجود، وقيل: المراد بها: المبنية للصَّلوات، والكلُّ حقٌّ؛ فالمساجد بُنِيت ليوحَّد اللَّه فيها ولا يُعبَد فيها سواه، والأعضاء خلقت ليُعبد بها ولا يعبد بها سواه (﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]) هذا عمومٌ داخلٌ فيه جميع المخاطبين من الأنبياء وسائر المكلَّفين، و(﴿أَحَدًا﴾) نكرة؛ لا حَجَر ولا شَجَر، ولا نبيّاً ولا وليّاً.

(وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾) فهو الحقُّ، ودعوته وحده هي الحقُّ، وهو المستجيب لداعيه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

(﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد:١٤]) وهذه من صيغ العموم؛ تشمل الأنبياء والأولياء والصَّالحين، (﴿بِشَيْءٍ﴾) نكرة؛ فشملت أيّ نوع وجنس؛ فعمَّت المدعو وعمَّت المطلوب - فأي مدعو لا يستجيب من أي شيء كان، وأي مطلوب لا يحصل من أي شيء كان، فما سواه باطل ودعوتهم باطلة - فإنهم ما بين ميت، وغائب، وحاضر لا يقدر.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ(٢) * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا

---

(١) [النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قاتل المشركين لجحدهم توحيد الألوهية]

(٢) وهي القشرة الَّتي على نواة التَّمر، شيءٌ يسيرٌ ويتمزَّق، ومع ذلك غير اللَّه لا أحدَ يملكها ولا يستطيع أنْ يخلق مثلها، فمِن باب أولى الأشياء الكبيرة كمغفرة الذُّنوب والشِّفاء والعافية وتفريج الكروب، فالميت ما يملك شيءٌ أصلاً ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ ولا شيء، بل إنَّ الميت محتاجٌ للأحياء أنْ يدعوا له.

يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر:١٣ - ١٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف:١٩٤]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّه مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥]، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّه لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ:٢٢ - ٢٣]، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ﴾ [الرعد:١٤]، ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّه مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦]، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ الآية [الزمر:٣٨].

فدعاؤهم كما أنَّه شركٌ، فهو ذاهبٌ ضَيَاع وخَسار[1]، فالمُشركُ أضلُّ النَّاس وأغبنُهم صفقةً في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) يعني: مِن مفاسد الشِّرك غير أنَّه حابطٌ للعمل، ويغضب اللَّه عز وجل على هذا المشرك، ويُحرم مِن دخول الجنَّة؛ فهو خسارةٌ، فلو يجلس الشَّخص عند ميت يدعوه مئة سنة لا يُحَصِّل نتيجة فهو خسارةٌ وضياعٌ للوقت؛ لأنَّه لا يُحَصِّل شيئاً؛ لذلك قال: «فدعاؤهم كما أنَّه شركٌ، فهو ذاهبٌ ضَيَاع وخَسار».

(وَتَحَقَّقْتَ) ممَّا تقدَّم (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاتَلَهُمْ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالِاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللَّهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ كُلُّهَا لِلَّهِ).

(وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلَائِكَةَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ أَوِ الأَوْلِيَاءَ - يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ - هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ).

(١)(عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ(٢)، وَأَبَى عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ المُشْرِكُونَ) إذا تأمَّلت ما مرَّ من قوله: (**فَإِذَا تَحَقَّقْتَ**) وما عُطِف عليها، تبيَّن لك التَّوحيد الذي دعت إليه الرُّسُل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وعرفت حقيقته؛ أنه توحيد الألوهية والعبادة.

فإذا عرفت إقرارهم بالرُّبوبيَّة هان عليك ما عليه المتأخِّرون واتَّضح لك دين المرسلين من دين المشركين.

(وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ») لم يكتفِ بذكر التَّوحيد، بل صرَّح لك بكلمته فقال: (**وَهَذَا التَّوْحِيدُ**) هو مدلول هذه الكلمة (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**)؛ يعني: أن يكون الإله المعبود هو اللَّه وحده دون كلِّ ما سواه (**هَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**») مطابقة، وهي التي وُضعت له.

واشتملت على ركنين: النفي، والإثبات؛ نفي الألوهية عن كل ما سوى اللَّه، وإثباتها للَّه وحده، ومعناها: لا معبودَ حق إلا اللَّه وحده؛ كلُّ معبود سوى اللَّه، فعبادتُه وتألُّهه

---

(١) [التَّوحيد الذي دعت إليه الرُّسل]

(٢) لمَّا ذكَر أنَّ توحيد الرُّبوبيَّة وحده لا ينفع وأنَّهم لمَّا أخلُّوا بتوحيد الألوهيَّة؛ بيَّن رحمه الله أنَّ دعوةَ الرُّسل لبيان توحيد الألوهيَّة.

أبطل الباطل، وأضلُّ الضلال.

(فَإِنَّ «الإِلَهَ» عِنْدَهُمْ) أي: عند أهل اللِّسان من قريشٍ وغيرهم، الَّذين بُعثَ فيهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وخاطبهم بقوله: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا» (هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ) بالذبح والنذر والدعاء، ونحو ذلك، (لِأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ) - وهي طلب الشَّفاعة والتَّقريب إلى اللَّه -؛ (سَوَاءٌ كَانَ مَلَكاً، أَوْ نَبِيّاً، أَوْ وَلِيّاً، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْراً، أَوْ جِنِّيّاً).

(لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ «الإِلَهَ») إذا قالوا: «إله» أنه يرزق حقيقة، لا؛ هذا يُكذِّبه القرآن، بل جاء القرآن بأنَّهم يقولون: يصلح وينفع إذا اعتُقِد فيه، وأنه يتصرَّف بالشَّفاعة عند ربِّ الجميع، نعم في آخر الزَّمان يعتقدون أنه يفيض عليه من بركته.

(هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ - كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ -) كما تقدَّم ذلك بأدلته من الكتاب، كقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [يونس:٣١]، ونحوها.

(وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِـ «الإِلَهِ»: مَا يَعْنِي المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ «السَّيِّدِ») إذا قالوا: هذا «سيد»؛ يعني: «إله»، وإن لم يستشعروا هذا اللفظ؛ لكن المعنى أنه يصلح لأن يوسّط بين أحد من الخلق وبين اللَّه، وأن الاعتقاد فيه ينفع إذا تُشُبِّث به، وطُلب منه أن يطلب لهم من اللَّه حوائجهم، يعنون أن هذا ولي وهذا معتقد لنا، بمعنى أنَّ المعتقَد فيه ينفعه ويجيبه، وأنه يصلح للالتجاء إليه، فيتقربون إليه ليقرِّبهم إلى اللَّه؛ يعني: أنهم وسائط.

(فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ») التي فيها إبطال جميع ما يتعلقون به على غير اللَّه بشيءٍ من أنواع العبادة، المفرِدة ربِّ العالمين بالألوهية، استحقاقاً وعملاً وفهماً لذلك.

[1](وَالمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ) – كلمة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» – (مَعْنَاهَا؛ لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا) فإنه لا يكفي فيما أريد بها[2]، وإن كان لا بد من النُّطق بها عند إسلام العبد، لكن هي مقصودة لغيرها وهو العمل بما دلَّت عليه، هي من الوسائل لا من الغايات، فلا يكفي اللَّفظ بدون المعنى، ولا يكفي المعنى بدون اللَّفظ[3].

(وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِهَذِهِ الكَلِمَةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالتَّعَلُّقِ، وَالكُفْرُ بِـ) جميع (مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ) كَهُبَل ونحوه، وهذا فهم صحيح، (وَالبَرَاءَةُ مِنْهُ) وأن يتبرأ منه، ودليل ذلك وبرهانه[4] (فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فرُّوا واستنكروا من إفراد اللَّه بالعبادة، و(قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[5] [ص:٥]») أي: أَجَعَل المعبودات معبوداً واحداً؟! فدلَّ على أنَّهم عرفوا معناها،

---

(١) [المراد من كلمة التوحيد: معناها لا مجرد لفظها]

(٢) لأنَّ المنافقين يتكلَّمون بِهَا ولم تنفعهم.

(٣) فإذا أراد شخصٌ أنْ يدخل إلى الإسلام نقول: حتَّى تدخل انْطِقْ ثُمَّ اعْمَلْ، فلا بدَّ العمل مع أصل النُّطق؛ لذلك اللَّه يقول عن كفَّار قريشٍ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعرفون معناه أنْ نترك عبادة الأصنام لذلك ما ينطقونَها؛ لأنَّه لو نَطَقَ لازم أنْ يترك، أمَّا الآن ما يفهم معناها يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ويطوف على القبر.

(٤) يعني: إذا قال «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فإنَّ كفَّار قريشٍ يعرفون أنَّه يترك الأصنام ويتبرأ منها يقول: هذه أصنامٌ باطلة، لذلك لمَّا كان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يقول لأبي طالب قل: ««لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» يعرف معناها لكن ما تلفَّظ بِهَا، فلو قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» معناه: يا قريش! اسمعوا مني أنَّ عبادتكم باطلةٌ فاجتنبوها.

(٥) كانوا يعلِّقون الأصنام عند الكعبة لِكَثْرتِهَا، فالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يقول هذه كلُّها باطلة قولوا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ﴾ هذه الكثيرة ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ نتركها ونذهب =

وقالوا - فيما حكاه اللَّهُ عنهم -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥ - ٣٦].

فالتَّوحيد هو الحقُّ وهو النُّور، لكن عقولهم فسدت وأفسد مزاجَها الشِّركُ؛ لأنَّها نشأت عليه وأَلِفَته، فصارت لا تستنكره، فصاروا كالمريض الذي إذا أُتي بالشيء الحلو قال: هذا مُرٌّ لفساد مزاجه، ولم تنشأ على التَّوحيد فاستنكرته[1].

=

لِواحد، واللَّه عز وجل يقول: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾، قلْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» واتركها تدخل الجنَّة، لكنَّ الشَّيطانَ حريصٌ على إغواء بني آدم.

(١) لذلك يجب على الإنسان أنْ يدعو ربَّه أنّ اللَّه يهديه إلى التَّوحيد وأنْ يُمِيته على التَّوحيد؛ لأنَّ به السَّعادة في الدُّنيا والآخرة.

[1](فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ)[2] كأبي جهل - فرعونَ هذه الأُمَّة - وأَضْرابِه (يَعْرِفُونَ ذَلِكَ) يعني: معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» كما تقدَّم؛ (فَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلَامَ) بل يدعي العلم؛ بل يدعي الإمامة في الدِّين (وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَا عَرَفَهُ جُهَّالُ الكُفَّارِ!) فإنَّ هذا - ادَّعاؤُه الإسلام - فضلاً عن العلم، فضلاً عن الإمامة، ويخفى عليه ذلك الذي بان وظهر لجهال الكفَّار، هذا في الحقيقة من أعجب العجب؛ بل من أعظم الجهل وأفحش الخطأ.

(بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ المَعَانِي)[3] فإنَّ أبا جهلٍ وأضرابه لو يعلمون أنَّ هذا هو المراد لَمَا تَلَعْثَمُوا في قولها ولا نازعوا، وكذلك لو فهموا أنَّ المراد الرُّبوبيَّة، لسارعوا إلى ذلك ولم ينازعوا؛ لكن علموا أنَّ معناها أن يكون الإله المعبود هو اللَّه وحده دون كل ما سواه، والتَّبرِّي ممَّا سواه، وأنه لا بدَّ من اعتقاد ذلك ووجوده في العمل، وأنَّها تُبطِل جميع ما هم عليه من دين آبائهم وأجدادهم.

(وَالحَاذِقُ مِنْهُمْ) الذي يرى أن المراد شيء آخر غير اللفظ يخطئ المعنى المراد ولا يعرفه (يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: «لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا اللَّهُ») يعني: أنَّها دلَّت على

---

(١) [العجب ممَّن لا يعرف ما عرفه جهَّال الكفار من كلمة التَّوحيد]

(٢) قال: (**جُهَّالَ الكُفَّارِ**) يعني: يوجد كفَّار عندهم علمٌ، فالمُصنِّف يقول: إذا كان الكافرُ جاهلاً أصلاً ومع ذلك يعرف معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مِن باب أَولى أنَّ مَن ينتسب للإسلام يعرف معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

(٣) يعني: لو كان المراد أنْ يقولوا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فقط بدون ما يعرف معناها كانوا قالوا للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ولم يُقاتلوه، لكنَّهم يعرفون أنَّهم إذا قالوا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فمعناه التَّبرُّؤ مِن الآلهة ومعبودِيها.

توحيد الرُّبوبيَّة، ومعلومٌ أنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» دلَّت على توحيد الرُّبوبيَّة بالتَّضمُّن، لكن معناها الذي وُضعت له مطابقة، أن يكون اللَّه وحده هو المعبود دون كل من سواه.

(فَلَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ») هذا رجلُ سُوءٍ لا خير فيه، هذا أقلُّ ما يُقال فيه؛ فالمُصنِّف اقتصر واقتصد على أدنى ما يقال فيه[1]، وإلا فهو يستحق أعظم؛ بل لا خير فيه بحال، إذا كان أبو جهل - فرعونُ هذه الأمَّة - وأضرابُه[2] أعلمَ منه بمعناها فلا جهلَ فوق جهلِ مَن جَهِلَ معنى هذه الكلمة التي هي أصل دين الإسلام، وقاعدته وأساسه[3].

---

(١) يعني: المُصنِّف رحمه الله يقول عنهم أنَّهم أجهل من الكفار يعني: هذا ذنب كبير.

(٢) يعني: وأمثاله.

(٣) وإذا ما عرفَ الإنسانُ أصلَ الدِّين فما يعرف غيره، لذلك إذا عرفَ الإنسانُ أصلَ الدِّين أفلح في كلِّ شيءٍ إذا عرفَ وعَمِلَ به.

(إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ) يعني: معرفةً حقيقيةً واصلةً إلى سويداء القلب، ليست مجرَّد دعوى باللِّسان؛ فإنَّ مجرَّدَ دعوى اللِّسان من غير معرفة القلب ليست معرفة.

(وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ) وهذا من عطف العام على الخاصِّ، وإلا فما تقدَّم وافٍ في بيان حقيقة دين المرسلين وحقيقة دين المشركين (الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآيَةَ [النساء:٤٨])، وتَصوَّرتَه ما هو، وقد قدَّم لك المُصنِّف ما يُعرِّفك به فيما قرَّره من معرفة التَّوحيد؛ فإن التوحيد يتبيَّن ضده الشِّرك.

(وَعَرَفْتَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمُ - الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ دِيناً سِوَاهُ[1] -) يعني: الذي هو التَّوحيد - وتقدَّم هذان الأمران مُقَرَّرَين لك في صدر هذا الكتاب: دين المرسلين، ودين المشركين -.

(وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهْلِ بِهَذَا) بالتَّوحيد والشِّرك[2]؛ فإنَّ أكثرهم ما عَرف دين اللَّه الذي بعث به الرُّسل؛ بل أكثر أهل البسيطة ما عرفوا الفرق بين هذا وهذا، بل عادَوْا أهل التَّوحيد وعابوهم وحاربوهم، واتبعوا دين المشركين، كله بسبب عدم الفرق بين هذا وهذا.

إذا عرفت هذه الأمور الأربعة معرفة قلبٍ (أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ) عظيمتَيْن:

---

(١) يعني: قصده رحمه الله هذا عرفت الخطأ وهو الشِّرك، وعرفت الصَّواب وهو التَّوحيد وهو دعوة الرُّسل.

(٢) هذا الأمر الثالث، عرفت الشِّرك، وعرفت التَّوحيد، وعرفت أنَّ كثيراً مِن النَّاس يجهلون ما هو الشِّرك وما هو التَّوحيد؛ فإنَّ اللَّه خصَّك بالعلم مِن بينهم.

[1](الأُولَى: الفَرَحُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) إحداهما: معرفتك دين المرسلين واعتقاده والعمل به، ومعرفتك دين المشركين ومجانبته والكفر به، كونُ اللَّه علَّمك دين المرسلين ودلَّك سبيلَهم وعرَّفك طريقهم، وتعْظُم النِّعمة أن الأكثر صاروا من أهل الجهل به؛ فإنَّ النِّعمة تزداد إذا كانت مختصة بالقليل دون الكثير، فلو كان النَّاس كلُّهم اهتدوا لها وكنت من عرضهم، لكان محبته نعمة كبرى، فكيف وقد ضل عنها أكثر الناس[2]؟!

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨])، الفرح مذموم كما في آية ﴿إِنَّ اللَّه لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]؛ لكنه في الدِّين ممدوح ومحبوب وواجب كما دلَّت عليه هذه الآية[3]، فرح خضوع وخشوع واستكانة، وخوف على زواله، لا فرح أَشَرٍ ولا بطَرٍ، فإنَّ هذه أعظم نعمة عليك - أيها الإنسان - هو خيرٌ ممَّا فرح النَّاس به وهو الدُّنيا لو اجتمعت لأحد، مع أنَّها لا تجتمع لأحد، ولو اجتمعت فهي للزَّوال والاضمحلال، وما كان للَّه مقصودٌ به وجهَ اللَّه فهو باقٍ

---

(١) [وجوب الفرح بمعرفة دين الرُّسل واتِّباعِه، ومعرفة دين المشركين واجتنابه، والخوف من زوال هذه النِّعمة]

(٢) واختصَّك اللَّه عز وجل مِن بينهم مع هذا الكثرة بالهداية؛ فتفرح بأنَّ اللَّه خصَّك بِهَذا الأمر.

(٣) يعني: تفرح بأنَّك حافظٌ للقرآن، وتفرح بأنَّك طالب علم، وتفرح بأنَّ اللَّه هداك، هذا الفرحُ إذا فَرِحْتَهُ تؤجر عليه؛ لأنَّ اللَّه أمر بأنْ نفرح بذلك ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ ولا أحسن ولا أجمل ولا أعظم مِن الفرح بالهداية والدِّين؛ لأنَّها غاية الجنَّة ورضى اللَّه عز وجل.

لا يزول، فأفاد أنَّ الفرح بفضل اللَّه وبرحمته واجب[1].

(١) والفائدة الثانية: الخوف العظيم مِن زوال هذه النِّعمة أنَّك ما تستمر في طلب العلم، ما تستمر في الهداية، ما تستمر في الصَّلاح وهكذا.

(وَأَفَادَكَ - أَيْضاً -: الخَوْفَ العَظِيمَ)[1] هذه هي الفائدة الثانية؛ يفيدك مع ما تقدَّم من الفرح العظيم الخوفَ على نفسك ودينك، فتفرح بالدِّين والعمل به، وتخاف على نفسك من زوال هذه النِّعمة وذهاب هذا النُّور؛ وهي معرفتك دين المرسلين واتِّباعه، ومعرفتك دين المشركين واجتنابه، مع أن أكثر النَّاس في غاية الجهل به.

(فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ) واحدة (يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ) دون قلبه.

(وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ) لا يدري ما تبلغ به من المبلغ، (فَلَا يُعْذَرُ بِالجَهْلِ).

(وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ) مجتهد (يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ) زُلفَى (- كَمَا ظَنَّ المُشْرِكُونَ -) يعني: في جنس شركهم وتوسُّلهم إلى غير اللَّه، قصدُهم أنهم يُقرِّبونهم إلى اللَّه زلفى، فيصرِفون لهم خالص العبادة من أجل جهلهم، يقولون: إنَّهم يسألون لنا من اللَّه وإنَّهم أقرب منَّا إليه[2]، ولكن هذا هو عين الشِّرك الأكبر.

(خُصُوصاً إِنْ أَلْهَمَكَ اللَّهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى - مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ -) لَمَّا مرُّوا بقوم يعكفون على أصنامٍ لهم (أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾) فـ ﴿قَالَ﴾ منكراً عليهم: (﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]).

---

(١) يعني: المُصنِّف يقول لك: (إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ) يعني: متيقِّن بصدقٍ ما أقول لك؛ تبيَّن لك التَّوحيد وتبيَّن لك الشِّرك وتبيَّن لك غالب ما عليه حال النَّاس اليوم مِمَّن ينتسب للإسلام وهو يقع في الشِّرك، يتبيَّن لك أمران:

الأمر الأول: الفرح بأنَّ اللَّه هداك.

والأمر الثاني: الخوف مِن اللَّه أنْ يُزيل عنك هذه النِّعمة.

(٢) يعني: يظنُّون أنَّ الميت إذا مات يقرب مِن اللَّه، قد يكون الحي هو أقرب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقد يكون الميت في النَّار بعيداً عن اللَّه.

(فَحِينَئِذٍ) إذا عرفت أنَّ الرَّجل يكفرُ بكلمةٍ ... إلخ، (يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَى مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ)[1]، ومن أسباب الخلوص من هذا الدَّاء العُضَال: التَّفتيشُ عن مبادئه ووسائله وذرائعه، خشية أن تقع فيه وأنت لا تشعر[2]، وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَهُ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي».

ومن أسباب التَّخلُّص من هذا: صدقُ الابتهال إلى اللَّه وسؤالُه التَّثبيت، وكثيراً ما كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدُّعاء: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِيْنِكَ»، كما ابتهل الخليل عليه السلام إلى اللَّه فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦]، وفي الحديث: «مَنْ أَمِنَ اللَّهَ عَلَى دِيْنِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ سَلَبَهُ إِيَّاهُ».

---

(١) لأنَّك قد تقع في الكفر وأنت ما تشعر.

(٢) لذلك النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَرَى أَنْ تَبْلُغَ حَيْثُ بَلَغَتْ، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً» قد يكون مزحة لِيُضحك النَّاس، واللَّه عز وجل يقول: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

[1](وَٱعْلَمْ) - أيُّها الطَّالب - (أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ) البالغة (لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً) من الأنبياء (بِهَذَا التَّوْحِيدِ) من لَدُن نوحٍ عليه السلام إلى أَنْ خَتَمَهُم بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم (إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً) - إلا قَيَّض له أعداءً -، قصدُهم الإغواء والصَّدْف عن دين اللَّه؛ هذا الصِّراط المستقيم، وهذه حكمة بالغة؛ ابتلاء الأخيار بالأشرار، ليكمل للأخيار مراتب الجهاد، وإلا لو شاء لَمَا جعل للأشرار شيئاً من السُّلطة ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّه لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ الآية[2] [محمد:٤].

سُنَّتُه البالغة أَنْ يُسلِّط الأشرار على الأخيار؛ سلَّط الأشرار على الرُّسل فما دونهم، وليس هواناً بالأنبياء عليهم السلام وأتباعهم[3]، ولكن ليقوم الأخيار بالجهاد، فتعظم الدَّرجة ويعظم الأجر وينالوا المراتب العالية[4]؛ لأن الجنَّة غالية لا تُنال إلا بالصَّبر على المصاعب والمشاقِّ[5].

---

(١) [لا بدَّ لأهل التَّوحيد من أعداء ليتبيَّن الصَّبر ويعظم الأجر]

(٢) مِثل ما ذكَر ابن القيم رحمه الله لولا الكفَّار لَمْ يَنل المسلمون منزلةَ الشُّهادة، فما يكون شهيد إلَّا إذا كان يقاتل كافر.

(٣) يعني: لا يرضى اللَّه عز وجل على الأنبياء والصَّالحين أنْ يُؤذَون، لكنَّ اللَّه عز وجل يريد رفع منزلتهم، النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: «وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ».

(٤) كما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ؛ فَمَا يَزَالُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ».

(٥) لأنَّه قد تكون أعماله الصَّالحة لا توصله إلى المراتب العالية في الجنَّة فتُكمَّل بالإبتلاء، يعني: يعمل هو ما عَمِلَهُ لكنْ يؤتى مِن طرفٍ آخر.

واعلم أنَّ أتباعهم كذلك[1]، من صَدَق اللَّه في اتِّباعه للرُّسل كانوا أعظم أعدائه (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾) يشمل جميع الأنبياء، ثم بيَّن العدو فقال: (﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾) يعني: مِن هؤلاء وهؤلاء[2]، والشَّياطين هم الَّذين فيهم تمرُّد وعلو، قال بعضهم: إنه بدأ بشياطين الإنس؛ لأنَّهم أعظم في هذا المقام من شياطين الجنِّ؛ لأنَّ شيطان الإنس يأتي في صورةِ ناصحٍ مُحبٍّ لَيِّن الجانب واللِّسان، ثمَّ بيَّن الذي به يَصْدِفُون عن الحقِّ فقال: (﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[3] [الأنعام:١١٢])، فتبيَّن لك أَنْ تزييف القول بالعبارة له تأثير، وأنَّ الحق قد يعرض له مَن يجعله في صورة الباطل كما قال الشاعر:

فِـي زُخْـرُفِ القَـوْلِ تَـزْيِينٌ لِبَاطِلِـهِ وَالحَـقُّ قَـدْ يَعْتَرِيـهِ سُـوءُ تَعْبِيـرِ

---

(١) يعني: كذلك أيضاً أتباع الرُّسل فكما أنَّ الرُّسل يُبْتلَون كذلك أتباع الرُّسل، واللَّه عز وجل يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ وكذلك أيضاً أتباع الرُّسل.

(٢) فالجنُّ يخوِّفون المؤمن نفسَه قد يحدث ذلك بالوسوسة، وشياطين الإنس يفعل ما يضرُّ بالقول مثلاً أو ما يرى بالفعل، فيجتمع عليه شياطين الإنس والجن، واللَّه عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السَّلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾»، والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» كلَّما قَوِي المؤمن يحبُّه اللَّه أكثر.

(٣) فدلَّت الآية على أنَّ فِعْلَ أهل الباطل يزول غرور ثُمَّ يذهب، واللَّه عز وجل يقول: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: المراد أنَّ أباطيل أهل الباطل تنكشف بسرعة؛ كما قال اللَّه: ﴿غُرُوراً﴾.

تَقُـولُ هَـذَا مُجَـاجُ النَّحْـلِ تَمْدَحُـهُ وَإِنْ شِـئْتَ قُلْـتَ قَـيْءُ الزَّنَـابِيرِ
مَـدْحاً وَذَمّـاً وَمَـا جَـاوَزْتَ وَصْـفَهُمَا حُسْـنُ البَيَـانِ يُـرِي الظَّلْمَـاءَ كَـالنُّورِ

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ لكنه جعلهم ابتلاء وامتحاناً ليتبيَّن المجاهد من القاعد، والصَّابر من غير الصَّابر[1]، والمجِدُّ من المُخْلِد[2] ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢]، وهذا وعيد شديد وتهديد وتغليظ.

[3](وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ[4] عُلُومٌ كَثِيرَةٌ) لُغوية، (وَكُتُبٌ) يرجعون إليها، (وَحُجَجٌ)[5]، لكنَّها عند التَّحقيق مثل السَّراب، عند المناظرة تَبِينُ أنَّها لا شيء ﴿كَسَرَابٍ

---

(١) كما سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ لا بدَّ مِن الابتلاء.

(٢) يعني: الكسلان؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾.

(٣) [أعداؤه لهم علوم وكتب وحجج لكن ...]

(٤) يعني: أعداء الدِّين.

(٥) كما قال سبحانه: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ يعني: مِن كَثرة جِدالهم كأنَّ روحهم ستخرج مِن شِدَّة الجِدال، لكنَّ حُجَّجهم كما قال اللَّه: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ [النور:٣٩] عند الحاجة إليه[١]، ومن تلك الحجج ما تقدَّم، ومنها ما يأتي الجواب عنه[٢].

والعلم: هو الموروث عن الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام[٣]، وأما علمهم فهو إما منامات - أحلام[٤] - أو تُرهَات باطلة لا أصل لها، ومنها شيء صحيح في نفسه لكن لا يفهمونه، وهو في الحقيقة لا يدل على باطلهم بل هو رد عليهم[٥].

والدَّليل أنَّ عندهم علوماً كثيرة وكتباً وحججاً؛ **(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[٦]** [غافر:٨٣]).

[١] **(إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ)** يعني: ما قرَّره وقدَّمه المصنِّف.

---

(١) يعني: عند الحاجة إلى الماء يظنُّه ماء مِن بعيد وإذا أتى ما يجد شيء، وكذلك كُتُب أعداء الدِّين تجدها كثيرةً وإذا قرأتَها ما فيها علم.

(٢) لذلك لا تجد أهل الباطل عندهم كُتُبٌ يحفظونَها؛ لأنَّ النَّفس ما تُقبل عليها، ولو حَفِظَها أفرادٌ الجميع ما يحفظها، مثل: سُنَّة النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يحفظها كثيرٌ مِن النَّاس، والذين يحفظون الأربعين النَّووية كُثُر، أمَّا كُتُبٌ في الرَّد على الدِّين والقرآن ما تجد.

(٣) يعني: والعلم الصَّحيح ليس عِلم أعداء الدِّين وإنَّما «هو الموروث عن الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام» أمَّا علِم غيرهم مِن أعداء الدِّين علِمُ هوى؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يتَّبعون أهواءهم.

(٤) مثل يقول: رأيت الولي الفلاني ويقول: تعال ادعوني وأنا أعطيك حاجتك، فهذه منامات وكذب وشياطين، واللَّه عز وجل يقول: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

(٥) مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ يعني: الطَّاعة، أمَّا هم ما يفهمونه يضعونه كما هي، وسيلة يعني: تعال ادع الأموات.

(٦) يعني: مِن الشُّبهات الَّتي عندهم يردُّون بِهَا على الرُّسل.

(وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ) ملازمين له، لا ينفكُّون عنه ولا يرجعون عنه أبداً، قصدُهم الإغواء والصَّدْف عن هذا الصِّراط المستقيم، (أَهْلِ فَصَاحَةٍ) وبلاغة في المنطق[٢]، (وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ) على باطلهم؛ ولكنَّها ليست من الحجج الموروثة عن الأنبياء - صلوات اللَّه وسلامه عليهم -، إنَّما هي منامات وأكاذيب، إذا جاء عند التَّحصيل فإذا هي تخونهم أحوجَ ما يكونون إليها.

(فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ) الذي أنزله (مَا يَصِيرُ سِلَاحاً لَكَ) تَذُبُّ به عن نفسك ودينك وتُدَافع به، و(تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ، الَّذِينَ) هم بهذا المقام أعظم ضرراً من شياطين الجنِّ، وهم نُوَّاب إبليس الَّذي (قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ عز وجل: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾) أي: لا أترك أحداً يَمُر إلَّا تَشبَّثتُ به وأغويتُه، لشدَّة عداوته لهذا النَّوع الإنساني، جَدَّ كلَّ الجِدِّ، واجتهد كلَّ الاجتهاد في إغوائه وصَدْفِه وإضلاله؛ أخبر هذا الخبر عمَّا هو مُريد وجازِم وعازِم عليه؛ ثم أكَّده بهذه التأكيدات (﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦ - ١٧]).

فإذا كان الطَّريق الَّذي هذه صِفتُه، مقعودٌ عليه ومَرصودٌ عليه بأنواع الصّدوف،

=

(١) [الواجب حينئذٍ على المُوحِّدين]

(٢) كما قال سبحانه عن المنافقين: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ فمِن فصاحتهم تريد أنْ تسمع لِكَلامهم، لكنَّ اللَّه قال: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ يعني: لا تغتر بفصاحة دِينٍ باطل؛ فاللَّه ذكَر عن أهل الباطل أنَّ عندهم فصاحةٌ وإنَّما الإنسان ينظر إلى الدَّليل، واللَّه عز وجل يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

وموسى عليه السَّلام ليس فصيحاً ومع ذلك آمن به كُثُر، واللَّه عز وجل قال عنه: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ يعني: له منزلةٌ كبيرةٌ عند اللَّه، وقال اللَّه: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

وأنواع القيود، وأنواع السِّلاح، وأنواع الحجج والبيِّنات، وأنواع الكيد والمكر والخداع، فكيف يأمن الإنسان ولا يخاف[1]؟

وممَّا تقدَّم تعرف البُعد عن صفة التَّعب والهُوينا، بل الأمر جِدٌّ كل الجد، فمعلوم أن المقيَّض له أعداء، لا يكون في غفلة عنهم، وليس مقصودهم سفك الدم فقط، لا؛ بل الدِّين.

وكم أهلك في الطَّريق الذي عليه شياطين الإنس والجنِّ مراصدين، مع ما جعل لهم من السُّلطة على القلب ونحو ذلك، يحسبون أنه آمن ولا خافوا من مخاوفه، ولا علموا من الشَّرع طرقه ومخاوفه؟

بعد ذكر المُصنِّف ما ذكر من عداوة الشَّيطان ونُوَّابه وحرصهم على إهلاك هذا الجنس الإنساني قال:

(وَلَكِنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللَّهِ) بقلبك وقالبك، وعلم منك اللَّجأ إليه والتَّبرِّي من الحول والقوَّة إلا به، (وَأَصْغَيْتَ) كلَّ الإصغاء (إِلَى حُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ) من الكتاب والسُّنَّة؛ (فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ) من الأعداء القاعدين لك على الصِّراط المستقيم؛ فعندك ما يُحصِّنك من هذا؛ فالخوف عليك عندما تُعرِض عن حجج اللَّه وبيِّناته، الخوف والحزن عليك من جهة نفسك أن لا تُقبِل ولا تُصغي؛ وأما إن لجأت إليه فَلَا.

(﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦]) وإن كان قَسمُه وحظُّه من الألف، تسع مئة وتسعة وتسعين، فليس كثرةُ حزبِه من قوَّة كيده، بل كيدُه ضعيف؛ ولكن أكثر الخلق

---

(١) ومع هذا كلِّه قال اللَّه: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ فمَن أطاع اللَّه ضَعُفَ شيطانُه ولا يكون له عليه سبيل، لذلك لمَّا يكثر الإنسان مِن قراءة القرآن أو طلب العلم يبتعد عنه الشَّيطان.

أطاعوه وتولَّوه ومكَّنوه من أنفسهم[1]، فلمَّا جعلوا له سلطاناً كان له عليهم سلطان[2]، وإلَّا كل عباد اللَّه ليس له عليهم سلطان، ولو أنَّهم لم يجعلوا له عليهم سلطاناً، لمَا كان له عليهم سلطان، لكن العصاة هم الذين أعطوه يد الطَّاعة، ولو بارزوه بالعدوان والعصيان؛ لمَا كان له عليهم سلطان، فهم الذين أعطوه القياد لأجل الشَّهوات، وإيثار العاجل على الآجل؛ أعطوه ذلك فصاروا إلى حيِّزه من جانب فصارت قوته نسبية[3]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ[4] وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٩ - ١٠٠]، فمن استولى عليه الشَّيطان في شيء فهو الذي ولَّاه على نفسه، وإذا أطاعه في شيء انتظر منه شيئاً آخر، وهكذا حتى يوصله إلى الهلاك - والعياذ باللَّه -.

---

(١) هذه قاعدة عظيمة ذكَرها الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله كيف ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ والشَّيطان مثلاً ينتصر على المسلم؟ قال: لمَّا أسلم الإنسان نفسَه للشَّيطان وأطاعه؛ تَقوَّى عليه؛ لذلك قال: «بل كيدُه ضعيف؛ ولكن أكثر الخلق أطاعوه وتولَّوه ومكَّنوه من أنفسهم».

(٢) وإلَّا هو ضعيفٌ، أنت أضعفت نفسَك معه.

(٣) يعني: قوَّة نسبيَّة بالنِّسبة لِضَعْفِ هذا البشر؛ وإلَّا في الأصل هو ضَعيفٌ، والمسلم هو القوي.

(٤) يعني: يتولَّون الشَّيطان ويُطيعونه؛ فيُقبل الشَّيطان عليهم.

[1](وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ) الذي عرف أدلَّة دينه وإن كان ليس بفقيه ولا عالم، ليس المراد العامِّيّ الجاهل، اللَّهمَّ إلا أَنْ يُوَفَّق العامِّيّ الذي لا يعرف، لحُجَّةٍ عقليَّة وهو نادر (يَغْلِبُ الأَلْفَ) بل الألوف (مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ)[2]، لأنَّ حُجَج المشركين تُرَّهَات وأباطيل، ومَنَامات كاذبة، وما كان معهم من الحقِّ فهو ردٌّ في الحقيقة عليهم (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]) فهذه الآيات أفادت حَصْر الغلبة في جند اللَّه، (فَجُنْدُ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ) وهو يقتضي بعمومه الغلب في جميع النَّواحي: الحُجَّة واللِّسان، والسَّيف والسِّنان ويغلبون قبيلهم؛ لأنَّه لا حجة لهم على باطلهم، فلا شيء من الحق يدل على باطلهم، فلو قُدِّر أنهم استدلوا بآية فليس لهم في الحقيقة دليل فيها، والأدلة على توحيد ربِّ العالمين أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر، وما يتشبثون به ويزعمون أنه دليل ليس بدليل، ويأتيك بعض ذلك والجواب عنه.

ولا تَظن أنه يرد عليه تسليط أهل الشَّر في هذه الأزمان، فإنه بسبب إضاعته، وإلَّا دينُ ربِّ العالمين محفوظٌ مؤمَّنٌ بحفظ من يقوم به.

---

(١) [العامِّي من المُوحِّدين يغلب الألف من علماء المشركين]

(٢) هذه قاعدة عظيمة يستفيد منها الإنسان ويتقوَّى بِها وهي ما ذكَرها الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله: (**وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ الأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ**)؛ لأنَّ العاميَّ يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأنتم تُشركون مع اللَّه أحد ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ لم يقل: فلْيعبدوا هذا البيت؛ فدليلٌ واحدٌ ينسف أعمال كثيرة أو جَمِيع أعمالهم.

ولا تَظن أنه يرد عليه إدالة[1] أهل الباطل بعض الأحيان، فإنه تمحيصٌ ورفعة، وغرور لأهل الباطل.

(وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَى المُوَحِّدِ) العابد للَّه المستقيم على التَّوحيد (الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ) يذبُّ به عن دينِه[2]، وهو الحُجَّة والسِّلاح الأعظم؛ من لم يتعلَّم أدلة دينه، فهذا مخوفٌ عليه أن يُقتَل[3]، أو يُسلَب[4]، أو يبقى أسيراً في يد عدوه الشيطان وجنوده، يُخشى عليه أن يَلُمَّ به الشَّيطان وجنوده، فيستزلونه عن الطَّريق السَّويّ.

[5](وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ) الذي هو السِّلاح كلّ السِّلاح (الَّذِي جَعَلَهُ ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]).

(فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ) كائنةٍ ما كانت إلى يوم القيامة (إِلَّا وَفِي القُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا) يعرف ذلك مَنْ يعرفه، ويُوفَّق له من يُوفَّق، ويجهل ذلك من يجهله (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾) أي: بحُجَّة أو شُبهة، وهذه نكرة في سياق النَّفي، فشمل جميع ما يؤتى به (﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]).

---

(١) يعني: نصر الأعداء على المسلمين نقول: هذه غرور فقط، اللَّه يُغرِّر بهم ثُمَّ يأتي انتصار المسلمين؛ لأنَّ اللَّه معهم.

(٢) يعني: المصيبة أنَّ الإنسان المسلم ليس عنده علم؛ فالشَّيطان يتخبَّطه والأهواء تتخبَّطه والشُّبهات تتخبَّطه، لذلك مَن كان عنده علمٌ يفرح به ويتزوَّد ويسأل اللَّه الثَّبات.

واللَّه عز وجل سمَّى أصل العلم سلطان يعني: قوة ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ فصاحبُ العلم صاحب قوَّة وحُجَّة.

(٣) يعني: يُضَيِّع دِينه ليس المراد القتل الحقيقي.

(٤) يعني: يأسِره الشَّيطان؛ فيتَّبع المعاصي.

(٥) [لا يأتي صاحب باطل بحجَّة إلا وفي القرآن ما ينقضها]

فالقرآنُ كفيلٌ بردِّ أيِّ باطلٍ كان، لكن الأفهام تختلف بالقوَّة والضَّعف، فيُعطى بعض الناس من القوَّة ما لا يعطاه غيره، ويُعطى بعض الناس من التَّوفيق ما لا يُعطاه غيره.

(قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: «هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ») ولكن قد يؤتى الإنسان من عدم الفهم له، أو عدم الاعتناء به، وقد التزم بعض العلماء - وهو شيخ الإسلام ابن تيمية - «أن لا يحتج مبطِل بآية أو حديث صحيح على باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقضه، وذَكَر لذلك أمثلة؛ منها: آية ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]».

[1](وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ - مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - جَوَاباً لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا)[2] هذا فيه بيان موضوع الكتاب وما صُنِّف فيه، فهو في ردِّ شُبَهٍ شَبَّه بها بعض المشركين على توحيد العبادة؛ فإنَّ الشيخ رحمه الله لمَّا تصدَّى للدَّعوة إلى اللَّه وبيَّن ما عليه الكثير من الشِّرك الأكبر، تصدَّى بعض الجهَّال بالتشبيه على جهَّالٍ مثلهم، وزعموا أن المصنِّف رحمه الله يكفِّر المسلمين - وحاشاه ذلك - بل لا يُكفِّر إلا من عمل مكفِّراً وقامت عليه الحُجَّة فإنه يُكفِّره، فقَصَدَ كَشْفَ تلك الشُّبه المُشبِّهة على الجُهَّال وردَّها - وإن كانت أَوْهَى من خيط العنكبوت[3] - لكن تُشَوِّشُ عليهم.

وقدَّم المُصنِّف رحمه الله مقدِّمةً نافعةً في بيان حقيقة دين المرسلين وما دَعَوْا إليه، وحقيقة دين المشركين وما كانوا عليه؛ ليعلم الإنسان حقيقة دين المرسلين عند ورود الشُّبْهة، ويعلم من هو أولى بدين المرسلين من دين المشركين، وبيَّن أنَّ مشركي زمانه هم أتباع دين المشركين.

[4](فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ): طريقٍ (مُجْمَلٍ)[5]، (وَ) طريقٍ

---

(١) [موضوعُ الكتاب]

(٢) يذكُر الآن جواباً مجملاً يُبيِّن لك أنَّ كلَّ شبهةٍ مِن القرآن يأتون بِها فهي غيرُ صحيحةٍ في أصلها؛ لأنَّ كتابَ اللَّه محكم.

(٣) واللَّه عز وجل ذكَر بأنَّ أوهن البيوت هو بيتُ العنكبوت فلا شيء أَوْهَنَ منه، واللَّه عز وجل يقول: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾.

(٤) [الجواب المُجْمَل عن احتجاج المشركين بالمتشابه]

(٥) بأن نقول: القرآنُ محكمٌ ولا يتَّبع المتشابه فيه إلَّا أهل الزيغ.

(مُفَصَّلٍ)[1].

(أَمَّا المُجْمَلُ: فَهُوَ الأَمْرُ العَظِيمُ، وَالفَائِدَةُ الكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا) وفهِمَها وعرَفَها، أما من كانت تجري على لسانه فقط، فإنَّ هذا الجواب لا يكون له حجة، وإنَّما قال ذلك في المُجمَل؛ لأنَّه في الحقيقة يصلح جواباً لكلِّ شُبهة (وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾) الآيات المُحْكَمَات: تعبَّد اللَّه الخلقَ بالعلم بها، والعمل بها والإيمان بها، هذا هو حكم المُحْكَم:

الأوَّل: الإيمان به أنه من عند اللَّه.

الثَّاني: معرفة معانيه.

الثَّالث: العمل به.

(﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾) أُمُّ الشيء: أصلُه والذي يرجع إليه عند الاشتباه والإشكال.

(﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾) في الدّلالة، ليس دلالتها واضحة مثل المُحْكَمَات؛ وحُكمُها:

أوَّلاً: الإيمان بها أنها من عند اللَّه أنزلها على العباد، ليؤمنوا بها.

والثَّاني: أن لا تُفسَّر بما يخالفُ المُحْكَم، بل تُردُّ إلى الأم - وهو المحكم - وتُفسَّر به.

(﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾) يعني: ميلٌ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم:١٧] وزَاغَت الشَّمس: مالت، والمراد: أن الَّذين في قلوبهم ميلٌ عن الحقِّ (﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾) يطلبون المتشابه في الدّلالة ويتركون المُحْكَم؛ ويَصْدِفُون عن الواضح لكونه يهدم ما هم عليه من الباطل ويفضحهم؛ فالجاهل إذا أدلوا عليه بآية من

---

(١) يعني: على كلِّ شبهة، دعاء الأموات وسيلة؟ نقول: ليس بصحيح وهذا دِين المشركين؛ كما قال سبحانه: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وهكذا.

المتشابه راجت عليه.

وهذا يفيد أنَّ أهلَ الاهتداء والاستقامة يتَّبعون المُحْكَم ويردُّون المتشابه إلى المُحْكَم، فيقولون: لِمَ عدلت عن هذه الآية - وهذه الآية التي لا تحتمل هذا، ولا هذا -.

وأنَّهم خلاف أهل الزيغ؛ لأنه خص أولئك باتِّباع المتشابه (﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]).

(وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ) عَنِي اللَّه بقوله ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران:٧]، (فَٱحْذَرُوهُمْ») لا يزيغون بكم عن سبيل الحقِّ كما زاغوا عن الحقِّ، حذَّر منهم؛ لأنَّ مخالطتهم وسماع كلامهم الداءُ العُضَال ومرض القلوب، ولا يتَّكِل الإنسان على ما معه من الحقِّ؛ بل يبعد عن أهل الزَّيغ ويُجَانِبَهم ولو معه حقٌّ[1]؛ فإنَّ السَّلف كان هذا شأنهم ويستدلون بالحديث، وهذا حُكم أهل الباطل؛ أن يَبعد عنهم؛ لئلا يدخل القلب شبهة يعسر التخلص منها؛ فإنَّ أهل الباطل لا يألُون جهداً أن تكونوا مثلهم في زيغ القلوب، وهم أضر على الناس من أهل المعاصي الشَّهوانية[2].

---

(١) هذه قاعدة عظيمة ذكَرها الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله أنَّ الإنسان لا يغْتَر بالعلم وليبتعد عن الشُّبهات ويبتعد عن أهل مَن يُلْقِي الشُّبهات؛ فالقلب ليس بيَد الإنسان، لذلك قال: «ولا يتَّكِل الإنسان على ما معه من الحقِّ؛ بل يبعد عن أهل الزَّيغ ويُجَانِبَهم ولو معه حقٌّ» كما قال إبراهيم عليه السَّلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ والبراءة منها وأهلها.

(٢) ويوسف عليه السَّلام في المعصية الشَّهوانيَّة قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ فكيف بالشُّبهة الَّتي هي أعظم.

[1](مِثَالُ ذَلِكَ) يعني: مثال احتجاج المشركين بالمتشابه، وللجواب عن ذلك بالجواب المُجْمَل.

(إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ المُشْرِكِينَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]) زعم أنَّ الآيةَ تدلُّ على أنهم يُدْعون، يعني: فيَطْلبون له، وأنَّهم أهل قُرَب ومنزلة وجاه وفضل، ومَنْ كان كذلك فقد تَأَهَّل.

(أَوْ) شبَّه فقال: (إِنَّ الشَّفَاعَةَ) التي ذُكرت في النُّصوص (حَقٌّ) وواقعةٌ، وإذا كانت حقاً فهي تُطلَب من الأموات ونحوهم، فيهتف باسمه ويقول: يا فلان، اشفع لي ... .

(أَوْ: إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ) فهم يُسألون ويُدعون؛ ليَسْأَلوا لِمَن ليس لهم الجاه عنده.

(أَوْ: ذَكَرَ) المُبطِل المشبِّه (كَلَاماً لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَى الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ) يعني: لا تفهم أنه يدل على مقصوده، وتفهم وتعتقد أن هذه أمور باطلة.

---

(١) [ثلاث شبه، والجواب عنها بجوابٍ مُركَّبٍ من ثلاثة أشياء]

[1](فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ المُحْكَمَ) ويَعْدِلون عنه، (وَيَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ) ويميلون إليه ويستدلون به[2]، وأنت تركت المُحْكَم وهو قوله: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّه أَحَداً﴾ [الجن: ١٨]، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّه إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وعَمَدْتَ إلى المتشابه ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وعَمَدْتَ إلى المتشابه وهو أن الشفاعة حق، وتركت المُحْكَم وهو ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّه أَحَداً﴾.

---

(١) [الجواب الأوَّل]

(٢) هذا هو الجواب الأوَّل مِن الجواب المُركَّب: وهو أنَّ كلام اللَّه عز وجل مُحْكَمٌ، والذين في قلوبهم زيغٌ يتَّبعون ما تشابه منه.

والجواب الثَّاني مِن الجواب المُركَّب: أنَّ المشركين مقرُّون بالرُّبوبيَّة.

والجواب الثالث مِن الجواب المُركَّب: أنا أُقِرُّ بأنَّ كلام اللَّه عز وجل لا يناقض بعضه بعضاً، كذلك كلام رسولِه صلى الله عليه وسلم.

فهذه ثلاثة أجوبة مِن جوابٍ مُركَّب مُجمل وستأتي الأجوبة التَّفصيليَّة، فهو الآن يذكر الجواب الأوَّل مِن الأجوبة المجملة أنَّ الذين في قلوبهم زيغٌ يتَّبعون ما تشابه منه.

يعني: مثلاً يأخذون بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ يقولون: الوسيلة هي دعاء الأموات فهذا متشابه، أخذت معنى وسيلة مِن معاني اللُّغة وجعلتها هي دعاء الأموات، مع أنَّ الوسيلةَ هي الطريقة ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ﴾ الطَّريقة الصَّحيحة، فذهبوا إلى هذا المتشابه وتركوا الأمرَ المُحْكَم مثل: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ واضحة، ومِثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

فهذا لو استدل عليك أحدٌ بدليلٍ تقول اللَّه عز وجل يقول: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ لماذا؟ ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ تأويل كلام اللَّه سبحانه وتعالى.

[1](وَمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ) وجاوِبْه بما ذكره المُصنِّف (مِنْ أَنَّ المُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ)[2] لم ينازعوا فيها.

وتُبيِّن له أنَّ الدَّاعي عبد القادر مثلاً، يدَّعي أنه ذو مكانة وأنت مُقرٌّ بالرُّبوبيَّة، والمشركون الأوَّلون مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة ولا نَفَعَهم[3]، (وَأَنَّ اللَّهَ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَى المَلَائِكَةِ، وَالأَنْبِيَاءِ، وَالأَوْلِيَاءِ - مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨] -)، ومع قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] ما زادوا على هذا.

(هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ) كون الذين في قلوبهم زَيْغٌ يحتجُّون بالمتشابه ويعدِلون عن المُحْكَم، وكون المشركين الأوَّلين ما ادَّعَوا فيهم الرُّبوبيَّة وإنزال المطر، وأنهم ما كانوا مشركين كُفَّاراً إلا بتعلُّقهم عليهم رجاء شفاعتهم وتقريبهم إلى اللَّه زلفى، هذان أمران محكمان:

الأوَّل: احتجاجهم بالمتشابه.

والثَّاني: أنَّ المشركين مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة - كما تقدَّم -، وأنَّ اللَّه كفَّرهم بتعلُّقهم على الملائكة ونحوهم؛ كونهم ما طلبوا إلَّا الشَّفاعة والقُرب إلى اللَّه بذلك ليس من الأمور المتشابهة.

---

(١) [الجواب الثَّاني]

(٢) هذا هو الجواب الثَّاني مِن الجواب المُركَّب: (أَنَّ المُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ) يعني: ما أتيت بشيءٍ، فلا تظن أنَّ الشِّرك هو فقط في الرُّبوبيَّة، فالمُشركون مقرُّون بالرُّبوبيَّة فلا يُنازعون في توحيد الرُّبوبيَّة.

(٣) فلو كان الإشكال في الرُّبوبيَّة فقط؛ لَمَا بعث اللَّه عز وجل محمَّداً صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى توحيد اللَّه.

كما أنَّ من الأمور المحكمة: أنهم ما أرادوا ممن دعَوه وذبحوا له وتعلَّقوا عليه إلَّا شفاعته كما قال فيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه زُلْفَى﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّه لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1] [الزمر:٣].

[2](وَمَا ذَكَرْتَهُ لِي - أَيُّهَا المُشْرِكُ! - مِنَ القُرْآنِ) كقوله: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] فإنه من المتشابه، وحُكْمُه: أن يُردَّ إلى المُحْكَم (أَوْ كَلَامِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم) كقوله: «وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»؛ (لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ) لا أعرف دلالته على ما قصدت وأردت أنهم يُدعون من دون اللَّه[3]، نعم ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ولكن أين دلالته على المقام[4]؟ ما دلَّ على أنهم يُدعَون! مَن أوصلَهم إلى هذه الدرجة؟ أنت الذي تقول هذا؟!

وأنا عندي شيء أقطع به كالشَّمس من النُّصوص؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للَّه فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّه أَحَداً﴾ [الجن:١٨]، وكقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّه إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

---

(١) وسيأتي - إنْ شاء اللَّه - الجواب الثالث.

(٢) [الجواب الثالث]

(٣) يعني: مَن يتَّبع المُتشابه ولا يفهم العلم يظنُّ أنَّ قوله سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أنَّه يجوز أنْ ندعوهم من دون اللَّه، وكذلك «وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ» يظنُّ مَن لا علم له أنَّه يجوز أنْ نذهب إلى قبر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ونقول له وهو ميت يا رسول اللَّه! اشفع لنا، واللَّه عز وجل يقول: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾.

(٤) لا يوجد دليلٌ أنَّهم يُدعَون، وإنَّما معناه أنَّ اللَّه يُكرم أولياءه أهل طاعته، يُكرمهم في القبر ويُكرمهم في الآخرة، وليس معناه أنَّهم يُدعَون من دون اللَّه.

(لَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللَّهِ عز وجل) يعني: فأَعْرِفُ أنَّ هذه الآية ونظائرها لا تنافي هذه النُّصوص، وما معي من النُّصوص مُحْكَم، فلا أترك المُحْكَمَ البيِّنَ الدّلالةِ للمتشابه.

فالأدلة التي معي لا يناقضها شيء هي من المُحْكَمَات، وما زعمه أنه يخالفها من المتشابه فلا يخالفها أبداً، ولو ادَّعى هو أن كلام اللَّه يتناقض؛ لكان كفراً آخر، وكذلك لو ادَّعى أنَّ كلامَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يخالفُ كلامَ اللَّه، لكان كفراً آخر سِوى ما كان عليه من الكفر.

(وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا تَسْتَهِنْ بِهِ) هذا ثناء من المؤلِّف على هذا الجواب المُجْمَل، وأنه أصلٌ أصيلٌ في دفع شُبَه المشبِّه.

(فَإِنَّهُ) نظير الخِصْلة التي هي الدَّفع بالتي هي أحسن (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥])، فكذلك هذا الجواب بهذه الصِّفة العظيمة، فإنك إذا وُفِّقتَ للجواب بهذا فقد وُفِّقتَ لأمر عظيم.

فصار هذا الجواب عن هذه الشُّبه جواباً مُركَّباً من ثلاثة أمور:

الأوَّل: بيان أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المُحْكَم ويتَّبعون المتشابه[1].

الثَّاني: أنَّ الأوَّلين مُقرِّون بالرُّبوبيَّة لم ينازعوا فيها، وأنَّهم ما ادَّعَوا إلا مثل ما ادَّعى هذا المشبِّه من طلب الشَّفاعة والقرب إلى اللَّه بذلك، وأنَّ اللَّه كفَّرهم بذلك[2].

---

(١) وهذا كثير سواء مِن أهل الشُّبهات أو الشَّهوات، وهذا مرضٌ عظيمٌ في القلب كَون الإنسان يترك الشَّيء المُحكم البيِّن الواضح ويذهب إلى ما فيه لَبسٌ في نفسِه، ويُظهر ذلك اللَّبس ويُدلِّسه على الآخرين.

(٢) يعني: أنَّ توحيد الرُّبوبيَّة وحده لا يكفي.

الثَّالث: أنَّ معي نصوصاً لا تتناقض، وأنَّ كلامَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لا يخالفُ كلامَ اللَّه عز وجل، وأنَّ المبطلَ يحتجُّ بشيءٍ هو حقٌّ ولا يدلُّ على الباطل بحال[1].

(١) يعني: المُبطل يقول: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، نقول: نعم صحيح، لكن ما يدلُّ على الباطل يُشرك باللَّه.

[1](وَأَمَّا الجَوَابُ المُفَصَّلُ)[2] - وهو الذي يُجَابُ به عن كلِّ شُبهةٍ بجوابٍ يخصُّها -: (فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ) - المشركين عبدةَ غير اللَّه - (لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ؛ مِنْهَا):

(قَوْلُهُمْ) - مع شركِهم باللَّه -: (نَحْنُ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ) شيئاً، وهم قد وقعوا فيه، لكن نَفَوه عن أنفسهم جهلاً وضلالاً، (بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ، وَلَا يَرْزُقُ، وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يَضُرُّ، إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً، فَضْلاً عَنْ عَبْدِ القَادِرِ) الكيلانيِّ (أَوْ غَيْرِهِ) ممن له جاه ومنزلة ومقام كبير، (وَلَكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ) ولم أُؤَهَّل إلى الطلب من الجانب الأعلى، (وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ!) فأطلب منهم، وهم يسألون ويطلبون لي ويقرِّبوني إلى اللَّه زلفى، لا أطلبهم ذواتهم[3].

---

(١) [الجواب المُفصَّل:

الشُّبهة الأولى: أنَّ من أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة ولم يقصد من الصَّالحين إلَّا الجاه والشَّفاعة؛ فليس بمشرك]

(٢) الآن المُصنِّف رحمه الله يبدأ في أوَّل شُبهة وهي أنَّ مَن أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة ودعا الأموات فليس بشرك، لماذا؟ قالوا: لأنَّه مُقرٌّ بتوحيد الرُّبوبيَّة بأنَّ اللَّه خالقٌ رازق يكفي حتَّى لو يطوف على القبر ويدعوه من دون اللَّه، هذه هي الشُّبهة.

(٣) والآن غالب شِرك النَّاس لا يجعلون الأموات والرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام واسطة، بل يطلبون من الميت يا ميت اشفنِ، يا ميت مريض عندي عافِه، فجحدوا توحيد الرُّبوبيَّة فأصبح شركهم أشدُّ من شرك أبي لهب وأبي جهل، بل لو كان أبو جهل حيّاً ورأى شرك هؤلاء لاستنكر ذلك عليهم؛ لأنَّ أبا جهل يُثبت توحيد الرُّبوبيَّة، وهؤلاء نسوا توحيد الرُّبوبيَّة.

[1](فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ؛ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لَا تُدَبِّرُ شَيْئاً)، وأنَّ اللَّهَ هو النَّافع الضَّار وحده، (وَإِنَّمَا أَرَادُوا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ) فقط، تعلَّقوا عليهم لأجل جاههم عند اللَّه؛ فإنَّ المشرك الَّذي نزل فيه القرآن هو هذا: دعاء مَنْ يشفع لهم عند اللَّه؛ لا أنه يخلق ويرزق، (وَٱقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ) اقرأ عليه الآيات الدالة على هذا وهذا.

فمِن الآيات الدَّالة على إقرارهم بالرُّبوبيَّة؛ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّه فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّه قُلِ الْحَمْدُ للَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[2] [لقمان:٢٥]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّه فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١]، وغير ذلك من الآيات.

واقرأ عليه الآيات الدَّالة على أنَّ اللَّه كفَّرهم بشركهم في الإلهيَّة[3]، وأنَّهم ما أرادوا إلَّا شفاعتهم وتقريبهم، وأنَّ هؤلاء ما زادوا على ما فعله المشركون الأوَّلون، ليتبيَّن أنَّه في

---

(١) [جوابها]

(٢) فكفَّار قريشٍ مُقرُّون بالرُّبوبيَّة ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ كَونه يقول: أنا لست مشركاً؛ لأنِّي معترفٌ بتوحيد الرُّبوبيَّة ما ينفع، ما يكفي توحيد الرُّبوبيَّة وحده لدخول الجنَّة.

(٣) يجوز أنْ تقول: توحيد الألوهيَّة والإلهيَّة سواء، بل أكثر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: الإلهيَّة.

عَماية عمَّا جاءت به الرُّسل، ومعاكسة لِمَا جاء به الرُّسل كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّه﴾ [يونس:١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّه لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونِ﴾ [يس:٢٢ - ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:٩٤]، ونظائرها من الآيات الدالة على أنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الجاهَ والشَّفاعة.

فحاصلُ جواب هذه الشُّبهة: أنك ما زِدْتَ على ما أقَرَّ به المشركون الأوَّلون، ولا زاد فعلُك عن فعلهم؛ بل أنت وهم سواء.

[1](فَإِنْ قَالَ) المُشبِّه[2]: (هَؤُلَاءِ الآيَاتُ) يعني آية: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّه﴾ [يونس:١٨] ونحوها (نَزَلَتْ فِيمَنَ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ) إن انتقل إلى هذه الشُّبهَة - وهي: حصرُ عبادة غير اللَّه في الأصنام -، يعني: وما سواه فليس بعبادة، فليس مثلهم، هو يدعو الصَّالحين وليس بمشرك! (كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟!) حَصَرَ عبادة غير اللَّه في الأصنام (أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَاماً؟!)[3].

من شأن أهل الباطل وأشباههم نِسْبتهم مَن نَزَّل الصَّالحين منازلَهم أن يقولوا: تنقَّصوهم وهضموهم[4]، وفي الحقيقة هم النَّاقصون المتنقِّصون للرُّسل، وأرادوا أَنْ يُعطَوْا باطلاً، وأهل الحقِّ أنزلوهم منازلهم الحق اللائقة بهم وما جاءوا به، ولا زادوا ولا نقصوا؛ أعطوهم حقهم الواجب، ونزَّهوهم عما لا يصلح لهم من الباطل.

---

(١) [الشُّبهة الثَّانية: حصرُهم عبادة غير اللَّه في الأصنام دون الصالحين]

(٢) يعني: يقولون: أنَّ الشِّرك هو فقط في عبادة الأحجار، واللَّه عز وجل ذَكر في القرآن وذُكر في السُّنة أنَّ الشِّرك أيضاً حتَّى لو في عبادة الملائكة ومِن باب أَولى البشر، فكلُّ مَن صرف العبادة لغير اللَّه كائناً مَن كان فهو شركٌ - والعياذ باللَّه -، فهُم يقولون: أنَّ الشِّرك فقط هو مَن كان كاللَّات والعُزى في عهد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

(٣) هذه شبهتهم، واللَّه عز وجل ذكَر أنَّ مَن عبد حتَّى عيسى كفر ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، ومَن عبد الملائكة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾.

(٤) يعني: بعض أهل الشِّرك يقولون: إذا لم تعبد الصَّالح إذا مات معناه أنَك لم تُحبّه وتنقَّصت من قدره، نقول: لا، وإنَّما إذا عبدتُه نقَّصت من قَدْرِ اللَّه سبحانه وتعالى صرفت له شيئاً وهو للَّه، فذاك مات وأصبح رميماً.

[1](فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ)[2] وهو أنَّ المشركين الأوَّلين مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة؛ أنَّ اللَّه تعالى الخالق وحده لا شريك له، الرَّازق، وإنَّما كانوا مشركين باتِّخاذهم الوسائط ... إلخ، لكنَّهم ما أعطَوا الرُّبوبيَّة حقَّها فإنَّ توحيد الألوهية هو نتيجة توحيد الرُّبوبيَّة كما تقدَّم.

(فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا لِلَّهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ) والمشبِّه مُقرٌّ بذلك، (وَلَكِنْ أَرَادَ) المشبِّه (أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ) وهو أنَّ المشركين يعبدون أصناماً وهو لا يعبد صنماً.

(فَآذْكُرْ لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ) والأوثان كما ذكر اللَّه عنهم ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [الشعراء:٧١]، ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ [العنكبوت:١٧]، ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[3] [الأنبياء:٥٢].

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ[4] الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآيَةَ [الإسراء:٥٧]) فمعبوداتُهم متنوِّعة؛ ليست الأصنام وحدها، مِنْ دليل تنوُّعها هذه الآية، فإنَّها نزلت في أناسٍ يعبدون الجنَّ فأسلم الجنُّ وبقي الإنس على عبادتهم[5]، وقيل: نزلت فيمن يعبد العُزَيْر والمَسِيح، كما هو قول أكثر المُفسِّرين.

---

(١) [جوابها]

(٢) يعني: أحد الرُّدود الثَّلاثة المُجملة التي سبقت.

(٣) يعني: ليست عبادة المشركين نزول القرآن فقط في الأصنام بل حتَّى في غير الأصنام.

(٤) والصَّالحين - يعني: يعبدون البشر -، فليس حصر الشِّرك في الأصنام بصحيح، فالقرآن يُكذِّب ذلك.

(٥) وهذه من الآيات الَّتي سَبَقَ فيها الجنُّ الإنس، والآية الثانية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال الجنُّ: ولا بشيءٍ مِن آلائك ربَّنا نُكذِّب، والإنس ما قالوا حتَّى أخبرنا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بذلك.

ولا منافاة بين القولين؛ فإنَّها نزلت فيمَنْ يدعو مدعواً وذلك المَدعُو صالح في نفسه يرجو رحمة الربِّ ويخاف عقابه، فكأن اللَّه سبحانه قال في الرَّدِّ عليهم: إنَّ مَنْ تدعونه عبيدي كما أنَّكم عبيدي، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، فينبغي أن تفعلوا مثل ما تفعل تلك الآلهة، فصاروا عبيده بثلاثة أشياء: بعبادته وحده، ورجائه وحده، وخوفه وحده، هذا هو المُوصِل لهم والوسيلة والسبب الموصل، لا عبادة سواه من الأولياء ونحوهم، فهذه الآية من جملة الأدلة على أن من معبوداتهم الأولياء.

(وَيَدْعُونَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ)[1] وهو صريح في شرك النَّصارى بالرُّسل؛ عيسى رسول (وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾) يعني: عظيمة التَّصديق بالحقِّ (﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٥ - ٧٦]).

فهذا بعض أنواع شرك الأوَّلين أهل الكتاب.

(وَٱذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤٠ - ٤١]) هذه الآية دالة على أنَّ مِن المشركين مَنْ يعبد الملائكة.

فعرفتَ مِنْ هذه الآيات، أنَّ مِنَ المشركين مَنْ يدعو الأولياء والصَّالحين، ومِنهم مَنْ يدعو الأنبياء، ومِنهم مَنْ يدعو الملائكة، وأنَّ الآيات منها ما نزل فيمَنْ يعبد الأولياء، وبعضها فيمَنْ يعبد الأنبياء، وبعضها فيمَنْ يعبد الملائكة، وأنها ليست منحصرة فيمَنْ يعبد

---

(١) يعني: يُبيِّن أنَّ الشِّرك ليس هو فقط في الأصنام، فعيسى عليه السلام إنسانٌ ومع ذلك أشركوا به.

الأصنام فقط؛ فلا فرق بين المعبودات؛ بل الكلُّ تسويةُ المخلوق بالخالق، والكل عدل به تعالى سواه في العبادة، فالكلُّ شركٌ والكلُّ مشركون، فعرفتَ مِنَ الآيات أنَّه مثلُهم، فبذلك انكشَفت شبهتُه واندحضت حجته.

(وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّه يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾) وهو تعالى أعلم أنَّ عيسى لم يَقُل ذلك، ولكن المراد نطقُه على رؤوس الأشهاد وبيانُ بطلانِ عبادتهم له، وأنه لم يرضَ بذلك، وهذا الخبر من اللَّه ذمٌ وعيب لمن اتَّخذ المسيح وأمَّه إلهين من دون اللَّه (﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾) أي: تنزيهاً لك عمَّا لا يليق بجلالك وعظمتك (﴿مَا يَكُونُ لِي﴾) يعني: ما ينبغي لي (﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾) أن أجعلَ حقَّ ربِّ العالمين الذي لا يشركه فيه غيره لي (﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾) وأنت أعلم أنه لم يَصْدُر مني ذلك (﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾) ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّه رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

(فَقُلْ لَهُ) يعني: إذا سَرَدْت عليه الآيات الَّتي فيها غير مَنْ عَبَد الأصنامَ فقل للمُشبِّهِ الشُّبهةَ السَّابقة: (عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ - أَيْضاً - مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ)؛ بل لا بد أن ينضمَّ إلى ذلك تكفيرُهم واعتقاد ذلك، فمَنْ لم يُكفِّرهم دليل على أنه لا يرى عملهم كفراً.

(وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ)؛ بل جعل سبيلهم واحداً، وإن تفرَّقَتْ معبوداتهم، فكلها راجعة إلى شيء واحد، وهو عبادة غير اللَّه مع اللَّه، وبذلك انكشفت شبهته، واندحضت حجته، وأنَّه في غاية الجهالة عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

[1](فَإِنْ قَالَ: الكُفَّارُ)[2] الَّذين نزل فيهم القرآن؛ أبو جهلٍ وأضرابُه (يُرِيدُونَ مِنْهُمْ) يريدون من الآلهه التي يدعون، ويطلبون منهم، لأنَّهم أبواب حوائجهم إلى اللَّه؛ فهم يباشرونهم بالعبادات، (وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّافِعُ، الضَّارُّ، المُدَبِّرُ، لَا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَقْصِدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ شَفَاعَتَهُمْ) والمالك لهم للمطلوب هو اللَّه، وأَقْصِدهم ليطلبوا لي من اللَّه الشَّفاعة.

---

(١) [الشُّبهة الثَّالثة: أنَّ طلب الشَّفاعة منهم ليس بشركٍ]

(٢) يعني: مِن شُبهتهم أنَّهم يقولون: إذا أتيت إلى ميت وقلت له: يا فلان! اشفع لي عند اللَّه أنِّي أدخل الجنَّة ولا أدخل النَّار يقولون: هذا ليس بشرك، وإنَّما يقولون: أنَّ الشِّرك منحصرٌ في عبادة الأصنام وفي غير طلب الشَّفاعة، فلو طلبت أنْ يشفني هذا شرك، أمَّا طلب الشَّفاعة لا.

والجواب: أنَّ هذا هو نفس كلام المشركين ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا نفس فعل المشركين تماماً.

[1]إذا انتقل بعد كشف الشُّبهتَيْن الأُولَيَيْن وشبَّه بهذه الشُّبهة.

(فَالجَوَابُ) عن هذه الشُّبهة: (أَنَّ هَذَا قَوْلُ الكُفَّارِ) بعينه حرفاً بحرف (سَوَاءً بِسَوَاءٍ) ما وُجد شيء مخفَّف، بل وجد منه شيء أعظم منهم، فإنهم مُقِرُّون بالرُّبوبيَّة؛ أن اللَّه هو المدبِّر وحده لا شريك له - كما تقدَّمت الإشارة إليه أول الكتاب -، اقرأ عليه الآيات المتقدِّمة الدالة على إقرارهم بالرُّبوبيَّة، (وَٱقْرَأْ عَلَيْهِ) الآيات الدالة على أنَّهم ما أرادوا إلَّا الشَّفاعة؛ منها:

(قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]) فإنَّ في هذه الآية حَصْرَ مطلوبهم وهو شيء واحد؛ يقولون: ليس لنا صلاحية السؤال من اللَّه، فنطلب منهم وهم يطلبون لنا من اللَّه ليقرِّبونا إلى اللَّه زلفى[2].

(وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨]) ففي هذه الآية، بيان أنه ليس لهم قصدٌ إلا شيء واحد، وهو طلب الشَّفاعة إلى ربِّ الجميع.

---

(١) [جوابها]

(٢) ومن رحمة اللَّه عز وجل أنَّه لم يجعل سؤاله عن طريق واسطة، فمثلا: لو أنَّ الدُّعاء لا يُستجاب إلَّا عند صاحب القبر، فلو الإنسان أتته كُربةٌ وهو مسافر كيف يأتي إلى صاحب القبر؟ ولو أنَّ الإنسان مريضٌ في المستشفى كيف يستطيع أنْ يذهب إلى المقبرة يدع صاحب القبر؟ فاللَّه عز وجل أمرنا أنْ ندعوه وحده في كلِّ مكان وزمان، بل اللَّه سبحانه وتعالى يفرح بهذا السُّؤال؛ فدلالة على أنَّ دعوة الأموات شرك فهو أيضاً مشقَّة شديدة جداً، فلو أنَّ امرأةً حامل ستضع وشعرت بجَهدٍ كبير فلو قيل لها: اذهبي إلى القبر الفلاني ادعيه من دون اللَّه حتَّى تتيسَّر ولادتك فهذا مشقَّة عليها أصلاً إضافةً إلى أنَّه شركٌ أكبر، يعني: أنَّه ليس هناك تخفيفٌ في دعوة الأموات وليس فيه تيسير، وإنَّما فيه كُربة زيادة كُربة.

(وَٱعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ[1] هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ) هذه والشُّبهتان قبلها: شبهة انتفاء الشِّرك مع الإقرار بتوحيد الرُّبوبيَّة، وشبهة حصر الشِّرك في عبادة الأصنام، وشبهة أن الكفَّار يريدون منهم، وأنه لا يريد منهم إلَّا الشَّفاعة.

(فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ وَضَّحَهَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْماً جَيِّداً؛ فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا) يعني: إذا صار هذه سهولةُ ردِّ أعظمِ شبههم، فغيُرها بطريق الأولى أسهل وأسهل؛ تجد في النُّصوص أسهل شيء الردَّ عليهم[2].

---

(١) الشُّبهة الأولى - الَّتي دائماً يُكرِّرونها -: ما دام أنَّنا نُقرُّ بأنَّ اللَّه هو الخالق الرَّازق، فلو طُفت على القبر ودعوته مِن دون اللَّه لست مشركاً.

والشُّبهة الثَّانية: إذا كنت تقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» حتَّى لو أُشرك ما يَضر، يعني: قصدهم مثل لو قال شخص: لو أصلي بدون وضوء تصحُّ صلاتي.

والشُّبهة الثَّالثة: يقولون: أنَّ الشِّرك محصورٌ في طلب الشَّفاعة، واللَّه عز وجل يقول: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ فاللَّه سمَّى طلب الشَّفاعة هو بعينِه شرك قريش.

(٢) واللَّه عز وجل يقول: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ﴾ ممَّا ذكروه ﴿تَفْسِيرًا﴾.

[1](فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، وَهَذَا الِالْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ)[2] جحد أنه صادر منه شرك.

[3](فَقُلْ لَهُ) مجيباً: (أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ العِبَادَةِ لِلَّهِ؟) فلا يمكنه جحد ذلك، وإِنْ جحد ذلك كفانا مُؤنةَ الرَّدِّ عليه.

(فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ).

(فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ - وَهُوَ إِخْلَاصُ العِبَادَةِ لِلَّهِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ -) فإذا سألته عن حقيقة ما فرضه اللَّه عليه، وهو يعلم ويُقِر أنَّ اللَّه افترض عليه إخلاصها، (فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ العِبَادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا)[4] إذ لو عرفها وأنواعها لمَا نفاها عن نفسه، ولمَا قدَّم على عبادة اللَّه غيرَه؛ لكنَّه من أجهل الجاهلين وأضل الضَّالِّين؛ فإنَّ الجهلَ أنواعٌ، أعظمُها الجهل باللَّه تعالى وأسمائه وصفاته، وهو أعظم من الجهل بشرعه ودينه، فهو متغلظٌ جهلُه بأمرين:

أحدهما: أنه جَهْلٌ بالتَّوحيد الَّذي هو أساس المِلَّة.

والثَّاني: أنه جَهْلٌ بشيء مستفيض واضح عند كلِّ أحد[5]، والجهل بالشَّيء المعلوم

---

(١) [الشُّبهة الرَّابعة: نفيهم عبادة الصالحين، مع أنَّهم يدعونهم أو يذبحون لهم]

(٢) يعني: هم يقولون: نحن ما ندعوا الصَّالحين وإنَّما نتوسل، والتَّوسل هو الدُّعاء.

(٣) [وعنها جوابان] [الجواب الأوَّل]

(٤) تقول له: الدُّعاء ليس فيه إخلاص؟ يعني: يا فلان! أغثني، هذا إخلاص طلبك لهذا الشَّخص، فإذا قال: نعم، نقول له: الإخلاص يصرف للَّه أو لغير اللَّه؟ إذا قال: يُصرف للَّه، نقول: الحمد للَّه عرفت أنَّك مُخطئ، وإذا قال: هذا ليس بإخلاص، فنقول له: أنت جاهل ما تعرف الإخلاص من عدم الإخلاص، والإخلاص توجه القلب للشَّيء.

(٥) وهو أنَّ دعوة الأموات شرك، فهذا مستفيضٌ عند كل النَّاس.

الواضح، أعظم من الجهل بالشَّيء الخفي.

(فَبَيِّنْهَا لَهُ) يعني: بيِّن له أنَّ الدُّعاء والطَّلب عبادة، وأحد تعاريف العبادة: أنه ما أُمر به شرعاً من غير اطِّراد عُرْفي، ولا اقتضاء عقلي[1]، وقد أمرنا اللَّه تعالى بدعائه وحده.

(بِقَوْلِكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2] [الأعراف:٥٥]) وهذه الآية تفيد ذلك؛ أنه يحبه ويرضاه، والأمر عبادة[3].

(فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا) إذا أعلمته أنَّ الآية تدلُّ على أنَّه عبادة.

(فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذَا عِبَادَةً لِلَّهِ؟).

(فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ) لا يمكنه أن يجحد، فإِنْ جَحَد سقط الكلام معه وعُرِف أنه مكابر، وانتقِلْ معه إلى الجِلَاد إن أمكن[4]، (وَ«الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ») كما في الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ».

(فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، خَوْفاً وَطَمَعاً، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي

---

(١) فاللَّه أمر بالدُّعاء من غير عادة، وما دام أمر بالدُّعاء اجعله للَّه، لا تجعله للمخلوق.

(٢) بل ونهى عن دعاء غيره فقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾، وقال: ﴿ادْعُونِي﴾ أنا فقط ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

(٣) يعني: اللَّه عز وجل يُحبُّ الدُّعاء ويرضاه ويرضى عن صاحبه، فكلَّما تدع اللَّه أكثر يُحِبُّك اللَّه أكثر؛ لأنَّك أظهرت الضَّعف عند اللَّه، وكلَّما يظهر منك الافتقار والضَّعف للَّه كلَّما يرفعك اللَّه عز وجل، وكلَّما يتكبَّر الإنسان على اللَّه ولا يَذل له كلَّما كان من المستكبرين، واللَّه توعَّدهم بـ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾، وليس الاستكبار فقط في العبادة مثل الصلاة بل حتَّى عدم الالتجاء إلى اللَّه والذُّلِّ، له يا ربّ اغفر لي، يا ربّ أعطني، يا ربّ فهِّمني في العلم، فكلَّما تنزل يرفعك اللَّه.

(٤) يعني: من باب ولِيِّ الأمر مثلاً يُعزِّره.

تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيّاً أَوْ غَيْرَهُ) يعني: بعبادة الدُّعاء (هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ غَيْرَهُ؟).

(فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ) إن كان عنده التفات إلى الدَّليل؛ فإنَّ من لازِم إقراره بالأولى إقرارَه بالثَّانية؛ فبذلك انكشفت شبهته.

(فَقُلْ لَهُ: فَإِذَا عَمِلْتَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَنَحَرْتَ لَهُ؛ هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟) ودليله واضح، وبرهانه قاطع.

(فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ) لا يمكنه أن يجحده[1].

(فَقُلْ لَهُ: فَإِنْ نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ - نَبِيٍّ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ غَيْرِهِمَا -؛ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ) يعني: عبادة النَّحر (غَيْرَ اللَّهِ؟).

(فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ) ما يمكن أن يجحد الثَّاني بعد الأوَّل، بل إقراره بالأوَّل يلزمه الإقرار بالثَّاني[2]، يعني: وكذلك سائر العبادات، إمَّا أَنْ يُقرَّ أنَّها عبادة أو لا، فإِنْ أنكرَ كونها عبادة أقيمت عليه الحُجَّة، فإِنْ أَقرَّ خُصِم.

فبهذا ظهر واتَّضح جهلُه وضلالُه، وانكشفت شبهتُه، وأنَّ قولَه: أنا لا أعبدُ إلَّا اللَّه ... إلخ: محضُ جهل منه، وأنَّ هذا عبادة لغير اللَّه، وتبيَّن أنَّه عابدٌ غيرَ اللَّه، وأنَّ ما يصنعه معهم عبادة لهم، وأنَّه عابدٌ اللَّه وعابدٌ معه غيره.

---

(١) ما يُمكن أنْ يجحد أنَّ الصَّلاة عبادة، أو النَّحر عبادة.

(٢) يعني: إذا أقررت أنَّ الصَّلاة يجب أنْ تُصرف للَّه فلا تصرفها لغير اللَّه.

[1](وَقُلْ لَهُ - أَيْضاً -) تقدَّم الجواب الأوَّل، وهو جوابٌ كافٍ وافٍ، وأردِفْه بهذا الجواب الثَّاني عن شبهته السَّابقة - كما هو شأنه رحمه الله؛ يذكر جواب الشُّبهة وافياً، ثم يزيده الجواب والجوابين والثَّلاثة - وهي قوله: **(أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، وَهَذَا الِالْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ)**.

(الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ؛ هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللَّاتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟)[2].

(فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ)، لا يمكنه أن ينكر شيئاً أثبته القرآن، واذكر له النُّصوص الدَّالة على أنهم كانوا يدعون الملائكة، والصَّالحين، واللَّات؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ الآيتين [سبأ:٤٠ - ٤١]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء:٥٧]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ الآيات [النجم:١٩ - ٢٣].

(فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ، وَالذَّبْحِ، وَالِالْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؟) يعني: أنَّها ما كانت عبادتهم إلا هكذا، هل هو هذا أو غيره؟ فإنه لا يجد دليلاً غير هذا.

فقل له: أنا عندي دليل، وهي أنَّ عبادتهم هي هذه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

(وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، وَلَكِنْ

---

(١) [الجواب الثَّاني]

(٢) يُبيِّن المُصنِّف رحمه الله الآن أنَّ الشِّرك ليس مقتصراً على عبادة الأصنام، فالقرآن نزل في تكفير مَن يعبد الأنبياء والملائكة والأحجار والأموات.

دَعَوْهُمْ وٱلْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدّاً) في كشف شبهته.

[1](فَإِنْ) انتقل المُشبِّه إلى هذه الشُّبهة الأخرى[2] و(قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم[3] وَتَتَبَرَّأُ مِنْهَا[4]؟) هذا شأن أعداء اللَّه القُبوريِّين؛ إذا أُنِكر عليهم الباطل، قالوا هذا إنكارٌ للحق، وإذا أُنكر عليهم دعاء غيرِ اللَّه، قالوا: هذا إنكار للشَّفاعة[5].

---

(١) [الشُّبهة الخامسة: أنَّ مَنْ ينكر الشِّرك؛ فقد أنكر شفاعة الرَّسول صلى الله عليه وسلم]

(٢) يعني: هم يقولون: إذا قلت أنَّه لا يجوز أنْ نطلب من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الشَّفاعةَ وهو ميت معناه أنَّك تُنكر شفاعته، نقول: لا، واللَّه عز وجل يقول: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ ما دام الشَّفاعة بيد اللَّه نطلب من اللَّه، وأنا ما أنكرتُها وإنَّما أقول الشَّفاعة بيد اللَّه، واللَّه عز وجل لا يأذن لأحدٍ بالشَّفاعة إلَّا بعد الرِّضا وحتَّى الرِّضا عن المشفوع له، فأنا أعمل الطَّاعة حتَّى يرضى اللَّه عني وفي يوم القيامة اللَّه هو الَّذي يُشفِّع النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فيَّ، أمَّا أطلب من الميت لا.

(٣) يعني: تقول: لا يوجد شفاعة؟ نقول: لا، وإنَّما يوجد شفاعةٌ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

(٤) يعني: تقول: نعم يوجد شفاعة لكنِّي أتبرأ من هذ الشَّفاعة ولا أريد أنْ أقول لا، فأنا أُثبت للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الشَّفاعة، وأنا أرجو من اللَّه أنِّي أنال شفاعة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، لكنِّي أتَّبع القرآن والسُّنة، لا أطلب هذه الشَّفاعة من الأموات، وإنَّما أقول يا ربّ اجعل النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يشفع لي، أو يا ربّ اجعل الصَّالحين يشفعون لي، لكنْ أطلب ميت هذا هو الشِّرك الأكبر.

(٥) مِثل: لو شخص إذا أراد أنْ يتوضَّأ ما يغسل وجهَه ولا يديه، فتقول له: هذا خطأٌ ولا تصحُّ الصَّلاة، يقول لك: أنت تُنكر الصَّلاة؟ أهم شيء أُصلِّي، أغسل يدي أغسل ظهري أهم شيء أنْ أُصلِّي فأنت أصلاً تُنكر الصَّلاة، تقول له: أنا ما أُنكر الصَّلاة وأنا مِن المُصلِّين لكنْ =

فهو في الأصل من توضيح الواضح، فما الحاجة إلى التَّصدِّي للبحث في ذلك، شيء لازم بواسطة ترويج أهل الخرافات، وإلا فإعطاؤه صلى الله عليه وسلم الشَّفاعةَ أشهرُ من أن يُذكَر، وكونُ طلبها منه شرك شيءٌ واضح الاستشفاع، وكونهم ما قصدوا ممَّن عبدوه إلا الشَّفاعة لم يقصدوا أنه ينفعهم بذاته.

من شأن أهل الباطل المشبِّهين - أهلِ الشِّرك - المباهتةُ وإلباسُهم أهل الحق الشُّبَهَ الباطلة، إذا أُنكر عليهم دعاء غير اللَّه وشركياتُهم وضلالتُهم أَخذوا في الطَّعن على أهل التوحيد، وقالوا: إنكم تنكرون الشَّفاعة، وأنتم تنتقصون الأولياء والصَّالحين - وليس كذلك - خالفوا طريقة الرُّسل، وألزموهم أن يكونوا راضين بذلك، وهذا عكس ما دعوهم إليه.

=

فعلك هذا خطأ، وكذلك أنا ما أُنكر شفاعة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لكنْ فِعلك بطَلَبها منه خطأ.

[1](فَقُلْ: لَا أُنْكِرُهَا، وَ) أولى من ذلك أن (لَا أَتَبَرَّأُ مِنْهَا)، وهي أصلٌ لأهل التَّوحيد دون غيرهم[2]، بل أنا وأمثالي أرجى لشفاعته لكوني متمسِّكاً بسُنَّته، بل هم المَحرُومون لكونهم تعلَّقوا بأذيالٍ لا توصلهم، بل هم تركوا سبب شفاعته صلى الله عليه وسلم؛ (بَلْ هُوَ صلى الله عليه وسلم: الشَّافِعُ المُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ، وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ) فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لا يملكها استقلالاً[3]، بل لا يشفع إلَّا في أناسٍ مخصوصين قائم بهم التأهل لأن يشفع لهم؛ (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤])، هذا في سياق قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر:٤٣] فاللَّام عند جميع العلماء للملك، بيَّنت الآية أنَّ الشَّفاعة مُلْكٌ للَّه وحده، وكون النَّبيّ صلى الله عليه وسلم أُعطِيها لا استقلالاً من دون اللَّه، بل أكرمه المالك لها، لأناس مخصوصين، في مقدار مخصوص، فهي شيء محدود لشيء محدود.

(وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

---

(١) [الجواب]

(٢) الشَّفاعة فقط للمُوحِّدين، ومَن كان يطلب الشَّفاعة من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بعد موته فلا ينال شفاعة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؛ لأنَّه مشرك.

(٣) يعني: ليس النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يوم القيامة يقوم فيشفع للكافر والمسلم لا، وإنَّما ما يشفع إلَّا لِمَن رضي اللَّه عز وجل عنه أنْ يُشفع له وهم أهل التَّوحيد.

وخُصَّت شفاعة أبي طالب فقط وهو من الكفَّار الَّذي يشفع فيه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، يعني: الشَّافع فقط في كافر هو النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، والمشفوع له هو فقط أبو طالب، والشَّفاعة ليست في خروجه من النَّار وإنَّما في تخفيف العُقوبة فقط، وإلَّا مقرُّه في النَّار لأنَّه كافر.

فما دام أنَّ شفاعة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لا تُسمع إلَّا بعد أنْ يرضى اللَّه عن المشفوع له؛ فدلَّ على أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم لا يملك الشَّفاعة مطلقاً حتَّى يأذن اللَّه له.

[البقرة:٢٥٥])، فأيّ قائل، أو أيّ إنسان يُخرج النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم من هذا العموم[١]؟!

(وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]) يعني: من رضي اللَّه قولَه وعمله، (وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَرْضَى) من عباده إلَّا عملاً واحداً هو الإسلام، والذي يدور عليه هو التَّوحيد؛ فالتَّوحيد منزلته من الإسلام كمنزلة الأساس من البنيان، فالمحور هو التَّوحيد، والرَّبُّ لا يرضى (إِلَّا التَّوْحِيدَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥])، وقال عن المشركين: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٢] [المدثر:٤٨].

(فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ) كما في الآية الأولى، (وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) كما في الآية الثَّانية، (وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ) كما في الآية الثَّالثة، (وَلَا يَأْذَنُ اللَّهُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ) كما في الآية الرَّابعة.

(تَبَيَّنَ لَكَ) بذلك كلِّه، بل بعضُه كافٍ (أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ) ملك له وحده، وأنها لا تُطلب من غير اللَّه، بل تطلب من اللَّه، (وَأَطْلُبُهَا مِنْهُ) فأطلبها بما هو دعاء لربِّ العالمين، المالك لها وحده، لا دعاء للنَّبيِّ، (فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَهُ! اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ!

---

(١) فالنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كغيره لا يشفع إلَّا بعد أنْ يأذن اللَّه له، ورضى اللَّه عن المشفوع له، فلا يُقال نطلب الشَّفاعة من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ مقامه كبير لا، وإنَّما هو كغيره في الشَّفاعة لا يجوز أنْ تدعوَه وهو ميت.

(٢) وقال: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

وَأَمْثَالَ هَذَا) فإنَّك إذا قلت ذلك نِلتها، ومراده أنك تطلبه بالمعنى ولو ما لَفَظْت[1]؛ فإذا عملت بالتَّوحيد، فأنت تطلب أسباباً فيها نيلُ الشَّفاعة، سواء قلت باللفظ أو لا، أو ما هذا معناه.

(١) يعني: قصده شفاعة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ليست مقصورة على الدُّعاء، حتَّى الإنسان لو ما دعا لكنَّه يُطيع اللَّه ورسوله فهو مُستحقٌّ للشَّفاعة، لذلك قال: «ومراده أنك تطلبه بالمعنى ولو ما لَفَظْت» يعني: حتَّى ولو ما دعوت.

[1](فَإِنْ قَالَ) المُشبِّه[2]: (النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ!) - إن انتقل لهذه الشُّبهة - في زعمه: أنَّه كما أنَّ مَنْ أُعطيَ المال يُعطي مَن شاء، فكذلك مَنْ أعطي الشَّفاعة.

[3](فَالجَوَابُ): نعم (أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ) وهو سيِّد الشُّفعاء، لكن الذي أعطاه الشَّفاعة، (وَ) هو اللَّه (نَهَاكَ عَنْ هَذَا) نهاك أن تطلبها منه، فهذا من جهله يطلب شيئاً منهياً عنه، مع أن إعطاءه الشَّفاعةَ إعطاءٌ مقيَّدٌ لا مطلق[4]، كما أنَّ إعطاءه المال صلى الله عليه وسلم لا يعطيه مَن شاء، إنَّما يُعطيه مَن أُمِر أن يعطيَه.

أيُّ ملازمة بين كونه أُعطي الشَّفاعة وبين كونها تُطلب منه، والمشركون أكثر ما يعبدون صلحاء، ومع ذلك أيُّ دليل على طلبها؟ أَقرَّ أحد، أو جاء شيء من النُّصوص؟!

---

(١) [الشُّبهة السَّادسة: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أُعطي الشَّفاعةَ، وأنها تطلب منه]

(٢) يعني: الَّذي يقول: نطلب الشَّفاعة من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وليست بشرك، الجواب عنها أمران؛ الأمر الأول: اللَّه عز وجل نهى عن ذلك ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾، والأمر الثاني: أنَّ الشَّفاعة ليست خاصّة بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فيشفع الشُّهداء ويشفع الصَّالحون وغيرهم.

(٣) [عنها جوابان] [الجواب الأوَّل]

(٤) يعني: اللَّه عز وجل أعطاه الشَّفاعة بشرط: أنَّ اللَّه عز وجل يأذن له فيشفع، وبشرط رضى اللَّه عز وجل عن المشفوع له، وليس تقول: يا رسول اللَّه اشفع لي وهو ميت هذا شرك، وحتَّى في الآخرة ليس النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يخرج ويشفع وإنَّما حتى يأذن اللَّه له أنْ يشفع، ولِمَن تشفع؟ غير المسلم ما تُقبل الشَّفاعة مِن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أو مِن غيره.

الصَّحابة طلبوه إياها[1]؟! بل النُّصوص جاءت بالنَّهي عن ذلك[2].

وما دعاءُ غيرِ اللَّه؟ هو أن يقول: يا فلان! اشفع لي، هذا شركهم[3]؛ يدعون مخلوقاً رجاء شفاعته.

فصار لا فرق بين أن يصرِّح بنفس تلك العبارة فيقول: اشفع لي، أو يذبح لأن يشفع له.

(فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: ١٨]) فهذا نهيٌ عن دعوة غير اللَّه، ودعوةُ غير اللَّه أنواع؛ منها: دعوة غير اللَّه فيما يرجونه من شفاعتهم، ومنها: دعوة غير اللَّه لكشف الكربات، ونحو ذلك؛ وهذا منهيٌّ عنه، بل هو حقيقة دين المشركين الأوَّلين، إنَّما كانت عبادتُهم آلهتهَم بالدُّعاء، وطلبِ الشَّفاعة، ونحو ذلك - كما تقدَّم -.

---

(١) يعني: هل فيه نصٌّ أنْ ندعو النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو ميت؟ هل الصَّالحون طلبوا من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الشَّفاعة؟ مثل الشَّهيد يشفع فهل كلُّ مَن مات شهيداً نذهب إلى قبره ونقول: اشفع لنا؟ هذا شرك؛ لأنَّه ميت ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ﴾ الشَّاهد ﴿بِشِرْكِكُمْ﴾ فدلَّ على أنَّه شرك دعاء الأموات.

(٢) وهذا الكلام من درسٍ آخر في شرحٍ آخر؛ لمَّا انتهوا من شرح كشف الشُّبهات شَرَحَ الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم هذه العبارة بكذا، يعني: الكلام الَّذي سبق في درس ولمَّا انتهوا من شَرْحِ كشف الشُّبهات في درسٍ آخر قال هذه الزِّيادة.

(٣) خذها قاعدة عندك: دعاء الأموات شركٌ أكبر بإجماع العلماء، الميت ما يُدعى وإنَّما يُدعى له نقول: يا ربّ ارحمه يا ربّ اغفر له، ما نذهب إليه ونقول: اشفنِ هو ميت محتاجٌ للإحسان.

(فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ) الظَّاهر أنَّ مُرادَه ترجو اللَّه[1] (أَنْ يُشَفِّعَ نَبِيَّهُ فِيكَ؛ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾) إذا كنت ترجو أن تكون أهلاً لشفاعة سيِّد الشُّفعاء، فوحِّد اللَّه وأخلِصْ له العمل تَنَلْ شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فإنَّ الشَّفاعة التي هي حقٌّ وأُعطيها صلى الله عليه وسلم مشروطةٌ بشروطٍ - كما تقدَّم -، وبيَّنت الشَّريعة أنَّ سببَ نيلها؛ اتِّباع الرُّسل وإخلاص العمل، فبذلك تكون من أهل الشَّفاعة، فالمشركون ضيَّعوا سبب الشَّفاعة وضادُّوه وخالفوه.

الشَّريعة بيَّنت أنَّ سببَ إعطائه إياها غيرُ طلبها منه صلى الله عليه وسلم[2]، وإنَّما سببها الإيمان به صلى الله عليه وسلم والإيمان بما جاء به؛ قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ﴾[3] [يونس:١٨]، وما لا يعلمه اللَّه فهو باطل؛ يعني: لا يعلم أنَّ من دونه شفعاء، وسئل صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ فَقَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

---

(١) يعني: كأنَّ الشَّيخ رحمه الله يذهب إلى أنَّ دعاء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يشفع لك ليس له أصل؛ لأنَّها شفاعة عامّة وهي واقعة بكلِّ حالٍ الَّتي هي المقام المحمود، لكن ترجو أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم للتَّخليص مِن الموقف.

(٢) يعني: أعطي الشَّفاعة لكن ليس معناه أنْ أطلبها منه، فكلُّ مسلمٍ يشفع، فهل معنى ذلك كلُّ مسلمٍ يدفن ندعوه من دون اللَّه؟ لا؛ لأنَّ اللَّه عز وجل وعد جميع الموحِّدين بالجنَّة، فهل كلُّ مَن مات موحِّد ندعوه؟ نقول: يشفع.

(٣) ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فاللَّه عز وجل سمَّى ذلك شركاً الَّذي هو الطَّلب من الأموات، لذلك قلنا لكم: شركٌ بالإجماع طلب الأموات، والنُّصوص دلَّت عليه، والقرآن مليء منها.

خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ»، وقال: «فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً»، فالشفاعة للعصاة، أمَّا المشركون فلا شفاعة لهم.

[1](وَأَيْضاً: فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم)[2] هذا جواب ثانٍ لكشف الشُّبهة السابقة، تقدَّم الأوَّل وهو كافٍ شافٍ في كشف شبهته، وهذا الثَّاني؛ (فَصَحَّ أَنَّ المَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ) فجنس الشَّفاعة أُعطيها غير النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم[3]؛ ولكن هذا الإعطاء مُقيَّد، (أَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟) يعني: مقتضى قوله: النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أُعطيَ الشَّفاعة وأنا أطلبها منه؛ يدل على ذلك.

(فَإِنْ قُلْتَ هَذَا؛ رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ) فإنها ليست أكثر من طلبهم منهم الشَّفاعة والذَّبح لهم، لقصد تقريبهم إلى اللَّه وطلب شفاعتهم لا غير، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الآية [الزمر:٣].

(وَإِنْ قُلْتَ: لَا) أطلبها منهم ولو أُعطوها؛ (بَطَلَ قَوْلُكَ: «أَعْطَاهُ اللَّهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ»)[4] واتَّضح لك أنَّ كون شخص أُعطِيها لا يدلُّ على أنه يعطيها مَنْ سألها، وَلَلَزِمَ من ذلك أن يكون كلُّ من طَلب الشَّفاعة يُعطى إياها من سأله، ولَفَسدت

---

(١) [الجواب الثَّاني]

(٢) هذا هو الجواب الثاني، الجواب الأول: ليس معنى كونها أنَّه أعطيها أنَّه يشفع، لا بد من شروط: اللَّه عز وجل يرضى عنه ويأذن.

(٣) فهل ندعوهم من دون اللَّه؛ لأنَّهم أعطوا الشَّفاعة؟ لا.

(٤) يعني: مَن الَّذي أعطاه الشَّفاعة؟ اللَّه، فأطلبها من اللَّه، يعني: يا ربّ شفّع فيَّ نبيَّك، يا ربّ اجعل الصَّالح يشفع لي، يا ربّ اجعل أعمالي الصَّالحة تشفع، والقرآن يشفع لك، فلو تقول: يا ربّ اجعل القرآن شافعاً لي في قبري نقول: يصح.

الشَّرائع، فدلَّ على أنَّ إعطاءه الشَّفاعة مُقيَّد، وليس دالًّا على أنَّها تُطلب منه، ولو كانت تطلب منه لكان الصَّحابة أوَّل من يطلبها منه؛ بل أنكر زين العابدين على مَنْ أتى إلى فُرْجةٍ كانت عند قبر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو.

وحينئذٍ انكشفت شبهته، واندحضت حجته، وتبيَّن لك بذلك جهلُه وضلاله[1].

(١) وهذا الكتاب عظيم «كشف الشُّبهات»؛ لأنَّه هو خلاصة بيان الكتاب والسُّنَّة في توحيد الألوهيَّة والرُّبوبيَّة.

[1](فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، حَاشَا وَكَلَّا! وَلَكِنَّ الِالْتِجَاءَ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ) يعني: نفى عن نفسه الشرك.

(فَقُلْ لَهُ) مجيباً بالاستفصال والتَّحدِّي[2] حتى تنكشف شبهته: (إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزِّنَا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُهُ) - وهو لا يمكن أن يجحده -.

(فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟!) يعني: فسِّر لي حقيقة الشِّرك باللَّه[3]؟ يعني: وما معنى عبادة اللَّه؟ (فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي) عن الشِّرك، ولا عن التَّوحيد، إذا طلبت منه بيان هذا وهذا وَقَفَ، فأين هذا من التَّوحيد[4]؟

[5](فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟) فإنَّ الحكمَ على الشَّيء - نفياً، وإثباتاً - لا بدَّ أن يكون بعد العلم والتَّصوُّر؛ فلا عرفت الشِّرك حتى تنفيَه ولا عرفت التَّوحيد حتى تثبتَه.

---

(١) [الشُّبهة السَّابعة: أنَّ الالتجاء إلى الصَّالحين ليس بشرك، فليس الملتجئ مشركاً بذلك]

(٢) يعني: نتحاور نحن وإيّاه ولا يستطيع الجواب.

(٣) يعني: ما هو تعريف الشِّرك باللَّه؟ إذا قلت: دعوة مع اللَّه غيره، هذا هو الشِّرك يدخل فيه جميع الأشياء جبريل، محمَّد، الأصنام، الأحجار، يعني: اعرف لي ما هو الضَّابط حتَّى تعرف المسألة.

(٤) يعني: إذا كان لا يعرف أنْ يُعرِّف الشِّرك دلَّ على أنَّه بعيدٌ عن معرفة التَّوحيد، وإذا كان يقول: واللَّه يختلف فالشِّرك دعوة غير اللَّه مع اللَّه لكن نستثني، نقول: نريد دليل الاستثناء واللَّه عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أيَّ أحد، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ما في استثناء.

(٥) [الجواب بالتَّحدِّي]

(كَيْفَ يُحَرِّمُ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؛ وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ وَلَا تَعْرِفُهُ؟) عدم معرفتك له وعدم مبالاتك به يدل على أنَّك لا تعرف دينك[1]، وأنَّك لست من التَّديُّن في شيء، صادٌّ غافل مُعرِض عن الدِّين ومعرفته، فحقُّك السُّكوت، ولأيِّ شيء تتكلَّم.

(أَتَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُحَرِّمُهُ وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!)[2] فإنْ ظنَّ ذلك فقد ضلَّ ضلالاً أعظمَ من ضلاله الأوَّل، وأضاف إلى ذلك كفراً آخر، وإنَّما صدر منه ذلك لأنَّه كان فيه، وغَمَره واسْتَحْكَم عليه، ولا دَرَى أنه في الشِّرك؛ فإن اللَّه قد بيَّن لنا الدَّقيق والجليل، وأكمل لنا الدِّين.

---

(١) يعني: لو شخص سألك قال لك: أين مدرستك؟ تقول: واللَّهِ ما أدري، يقول لك: لست بجانب الدِّراسة أصلاً، مَن هو ربُّك؟ تقول: ما أدري يعني: بعيداً عن اللَّه، ما هو الشِّرك؟ تقول: ما أدري هذا مشكلة.

(٢) لا سيّما وأنَّه أعظمُ ذنبٍ في الأرض، أتظن أنَّ اللَّه يسكت عنه؟!

[1](فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ!)[2] فإن انتقل إلى هذه الشُّبهة؛ زعم أن الشِّرك عبادة الأصنام بخصوصه، وهو في زعمه أنه لا يعبد الأصنام بل وليّاً.

[3]فجاوبه بالاستفسار والتحدي، فبه يندحض وتنكشف شبهته، ويظهر جهله وضلاله، وأنه أجنبي مما عليه المرسلون، وما هو دين المشركين.

(فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟) التي حَصَرْتَ الشِّرك فيها (أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ وَالأَحْجَارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟!).

فإن قال: نعم؛ (فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ) ويردُّه؛ فإنَّ القرآن دالٌّ على أنهم لا يعتقدون فيها ذلك أصلاً.

(وَإِنْ قَالَ: هُوَ مَنْ قَصَدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَراً، أَوْ بِنْيَةً عَلَى قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ؛ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَدْفَعُ اللَّهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ، أَوْ يُعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ) فهذا تفسيرٌ لعبادة الأصنام صحيح[4].

---

(١) [الشُّبهة الثَّامنة: قوله: الشِّرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام]

(٢) يعني: من الشُّبهات الَّتي يلقيها أهل الشُّبه من المشركين يقولون: دعاء الصَّالحين ليس بشرك لماذا؟ قالوا: لأنَّ الشِّرك مخصوص في عبادة الأصنام.

والجواب: أنَّ كلَّ ما عُبِدَ من دون اللَّه فهو صنم، والجواب الثاني: أنَّ قولكم هذا يلزم منه التَّكذيب بالقرآن؛ لأنَّ اللَّه ذكَر أنَّ الملائكة تُعبد وأنَّ الأنبياء يعبدون وأنَّ الصَّالحين يعبدون، فليس مخصوصاً بعبادة الأصنام، وإنَّما نوَّع اللَّه عز وجل من أنواع العبادة بدون الأصنام.

(٣) [وعنها جوابان: الجواب الأوَّل]

(٤) يعني: كلُّ ما عُبِدَ من دون اللَّه فهو صنم، فلو شخص يطلب بركة من حديدة نقول: هذه صنم.

(فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَ) لكن (هَذَا هُوَ) بعينه (فِعْلُكُمْ) الَّذي وقعتم فيه (عِنْدَ الأَحْجَارِ وَالأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَى القُبُورِ وَغَيْرِهَا) وهذا المطابق، وهو حقيقة تفسيرها.

(فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؛ وَهُوَ المَطْلُوبُ) المطلوب: إقرارُه بالحقِّ وكشف شبهته، وقد انكشفت شبهته واندحضت حجته، وتبيَّنت جهالته وضلالته[1].

وحاصله: أنَّك تقول: هل هم يعتقدون أنها تخلق؟

فإن قال: نعم؛ فبيِّن لهم الآيات الواردة ... إلخ[2].

(وَإِنْ قَالَ: هُوَ مَنْ قَصَدَ ...) إلخ؛ فقل: نعم، وهذا هو فعلُكم.

فهو إما أن يفسِّره بباطل؛ فيُبَيَّن له باطلُه، وإما أن يُقرَّ أنَّ فِعْلَهم موافق له[3].

---

(١) يعني: معنى كلامه رحمه الله: نقول له: أنت تطلب من الصَّالحين تدعوهم من دون اللَّه لماذا؟ إذا قال: رجاء بركتهم وتلبية حاجاتنا وزلفى عند اللَّه، نقول: والأصنام ماذا يرجون منها؟ يقول: نفس الشَّيء، فما دام أنَّ الحكم واحد صنم بشر سواء.

(٢) يعني: الأصنام ما تخلق وكذلك الصَّالحين لا يخلقون.

(٣) ويأتي - إنْ شاء اللَّه - الجواب الثاني.

[1](وَيُقَالُ لَهُ - أَيْضاً -) - هذا جوابٌ ثانٍ له -: (قَوْلُكَ: «الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ»؛ هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا) محصورٌ دون عبادة من سواهم (وَأَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ) والأنبياء والأولياء والملائكة (وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟) لا يكون شركاً؟

(فَهَذَا) أمرٌ باطلٌ (يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ) ويُبْطلُه (مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى المَلَائِكَةِ، أَوْ عِيسَى، أَوِ الصَّالِحِينَ)[2] فإنَّ القرآنَ العزيزَ بيَّن كُفر مَنْ تعلَّق على هؤلاء، وكُفر مَنْ تعلَّق على هؤلاء - كما تقدَّم -، وأنَّ عبادة الأصنام قسمٌ من أقسام الشِّرك.

(فَلَا بُدَّ) حينئذٍ (أَنْ يُقِرَّ لَكَ: أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَحَداً مِنَ الصَّالِحِينَ؛ فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ؛ وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ) وتبيَّن أنَّ مَنْ عبد صنماً، أو وثناً أو غير ذلك فهو مشرك، وبهذا تنكشف شبهته وتندحض حجته.

---

(١) [الجواب الثَّاني]

(٢) يعني: معنى كلامه رحمه الله: الشِّرك مخصوصٌ في عبادة الأصنام فقط، إذا قال: نعم، نقول: غير صحيح، القرآن ذكَر أنَّ الملائكة تُعبد والأنبياء يُعبدون وهكذا، فإذا قلت: نعم حتَّى عبادة غير الأصنام شرك نقول: الحمد للَّه إنَّك اعترفت أنَّها شرك.

[1](وَسِرُّ المَسْأَلَةِ) يعني: خالص وحاصل الأجوبة عن الشُّبَه الثَّلاث؛ ذكر المُصنِّف رحمه الله أوَّلاً جواب الشُّبَه؛ خَصَّ كلَّ شبهةٍ بجوابٍ، وبعضها بجوابين، ثم ذكر جوابها هنا على سبيل اللَّفِّ بعد النَّشر:

(أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللَّهِ؛ فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللَّهِ؟) ما معنى الشِّركِ باللَّه؟ (فَسِّرْهُ لِي!).

(فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؛ فَقُلْ: وَمَا مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي!).

(فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ؛ فَقُلْ: مَا مَعْنَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي!).

(فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ القُرْآنُ؛ فَهُوَ المَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ؛ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئاً وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ؟).

(وَإِنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ):

(بَيِّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ؛ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ).

يعني: وحاصلُ الجواب عن الشُّبه الثَّلاث أنك تتحدَّاه؛ فله ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يتوقَّف؛ فقل له: أنت لا تعرف الحق من الباطل، فإذا حَادَ ولا دَرَى ووقف فهو كافٍ في ردِّ شُبَهه، وحينئذٍ كفانا مؤنَة جوابه؛ فإنَّ هذا حال كثير ممن يعبد الأصنام؛ لا يدري عن الشِّرك ولا أهله، ولا دَرَى عن عبادة الأصنام، ولا ميَّز عبادة الأصنام من غيرها.

وإن فسَّرها بما فسَّره القرآن؛ فهذا أيضاً كفانا مؤنته وهدم أصله الذي بنى عليه.

وإن فسَّره بالباطل المخالف لتفسير القرآن؛ بَيَّنتَ له الآيات الواضحات في معنى

---

(١) [خلاصة الأجوبة عن الشُّبَه الثَّلاث]

الشِّرك باللَّه وعبادة الأوثان.

فالحاصلُ: أنه يتحصَّل منه تسعُ صُوَر، من ضرب ثلاث الشُّبَه في جوابه.

(وَأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) وهو توحيده؛ (هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ فِيهِ، كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا) في إنكارهم التوحيد على الرسول لمَّا دعاهم: (﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]) استنكروا أن يجعل الآلهة إلهاً واحداً.

وبه تَعرف أن كثيراً ممَّن ينتسب إلى الإسلام من هذه الأمَّة ليسوا على الدِّين، إنَّما معهم اسمُه فقط ولا يعرفون ما هو شرك الأوَّلين، فلو عرَف أحدهم شركَ الأوَّلين وشركَ أهل هذا الزَّمان لوجده هُوَ هُوَ؛ بل مشركو هذه الأزمنة أعظم من شرك أولئك بكثير؛ لِمَا يأتيك من كلام المُصنِّف، شرك الأوَّلين ليس أكثر من اعتقادهم أن أحدهم يطلب ممَّن يعتقد فيه أن يطلب له من اللَّه، وأنه باب وسائطهم وحوائجهم إلى اللَّه، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه زُلْفَى﴾ [الزمر:٣].

[1](فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: «الِاعْتِقَادَ») وقد يُسمُّونه التوسُّل؛ (هُوَ الشِّرْكُ) الأكبر الذي كان عليه قريشٌ وأضرابُهم (الَّذِي نَزَلَ فِيهِ القُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ عَلَيْهِ) وتحقَّقتَ ما قدمتُه لك من كشف الشُّبَه المُتقدِّمة.

(فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا بِأَمْرَيْنِ) فشركُ أهل زماننا أعظم وأكبر، وكونُ شرك أهل زماننا أغلظ وأكبر بهذين الأمرين ليس دليلاً على أنه لا يتغلَّظ إلا بهذين الأمرين، بل يريد أنه تغلَّظ بهذين الأمرين:

[2](أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ وَلَا يَدْعُونَ المَلَائِكَةَ وَالأَوْلِيَاءَ وَالأَوْثَانَ مَعَ اللَّهِ؛ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ لِلَّهِ الدُّعَاءَ) وإنما كان هذا حال المشركين الأوَّلين؛ لأنَّهم أصح عقولاً وأفهم في هذه الأمور؛ لعلمهم أنه لا ينجي في المضايق والكروب إلَّا اللَّه، فيخلصون للَّه الدِّين، ولهذا لمَّا سأل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم حُصَيْناً: «كَمْ إِلَهاً تَعْبُدُ؟ قَالَ: سَبْعَةً، سِتَّةٌ فِي الأَرْضِ وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَمَنِ الَّذي تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ»، (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾) يعني: ذهب عنكم من تدعون سواه (﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾) عن إفراده بالعبادة واللجأ إليه (﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾ [الإسراء:٦٧]).

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤٠ - ٤١]).

---

(١) [بل شرك المتأخرين أعظم من شرك الأوَّلين بأمرين]

(٢) [الأمر الأوَّل]

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر:٨]).

(وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢]).

هذه الآيات ونظائرها دالَّة على أنَّهم في الرَّخاء يشركون، وفي الشِّدَّة يُخلِصُون؛ في الشِّدَّة لا يدعون إلا اللَّه وحده لا شريك له.

وأمَّا في زماننا فشركُهم في الحالتين جميعاً، بل إذا كانوا في الشِّدَّة نسوا اللَّه بالكلِّيَّة ولهجوا بمعبوداتهم من دون اللَّه - والعياذ باللَّه -، فأهلُ زماننا إذا ركبوا في البحر وتلاطمت عليهم الأمواج، لهجوا بمن يدعونه من دون اللَّه؛ سواء كان من الأموات أو غيرهم، هذا يقول: يا متبولي، يا عيدروس، يا بدوي، يا عبد القادر، يا علي، يا حسين، يا فلان، أين شرك هؤلاء من شرك الأوَّلين؟ بَيْن الشِّركَين فرقٌ بعيد؛ بل مشركو زماننا زادوا في شركهم بفنونٍ زادوها وضُرُوبٍ جدَّدوها.

ثم قال المُصنِّف: (فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ) حقيقة الفهم، وفَهِمَ عن اللَّه ورسولِه، وسَلِمَ من التَّعصُّب والهوى، وسَلِمَ من الجهل (- وَهِيَ: أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الضُّرِّ وَالشِّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَنْسَوْنَ سَادَاتِهِمْ -).

(تَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ) يعني: أن شرك أهل زماننا أعظم وأكبر وأطَم، وإنما ضلوا بتركهم القرآن، والإعراض عنه، والتفهم والتدبر.

(وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ المَسْأَلَةَ فَهْماً جَيِّداً رَاسِخاً؟!) لينجو من الجهل، ولا يظن أنَّ المرادَ أنَّهم قومٌ كانوا فَبَانُوا، وفي الحقيقة إن كانوا وبانوا فقد أعقبوا من هو شرٌّ منهم بكثير (وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ).

[1](وَالأَمْرُ الثَّانِي) - تقدَّم الأمر الأوَّل الذي صار به المشركون الأوَّلون أخفّ شركاً من أهل زماننا[2] -: (أَنَّ) المشركين (الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاساً مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ[3]؛ إِمَّا أَنْبِيَاءَ، وَإِمَّا أَوْلِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً) أو صالحين، (أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَاراً أَوْ أَشْجَاراً مُطِيعَةً لِلَّهِ لَيْسَتْ عَاصِيَةً) الكائنات كلُّها مطيعة للَّه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:٤٤]، ﴿وَللَّه يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد:١٥].

(وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاساً مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ)؛ بل منهم مَنْ يدعو أُناساً مِنْ أكفر النَّاس، بل بعضهم أكفرُ من اليهود والنصارى؛ كالَّذين يدعون إمام أهل وحدة الوجود - ابن عربي -؛ فإنَّ عليه الآن قُبَّة في الشَّام.

(وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ: هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ؛ مِنَ الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ).

(وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، أَوْ الَّذِي لَا يَعْصِي - مِثْلِ الخَشَبِ، وَالحَجَرِ -؛ أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ وَفَسَادَهُ وَيَشْهَدُ بِهِ) فإنَّه معلومٌ أنَّ مَنْ دعا مع اللَّه غيره من أيِّ شيءٍ كان فهو كافر، وصَارفٌ حقَّ ربِّ العالمين لغيره؛ وكون ذلك المصروف لنبيٍّ أو غيره، لا ينجيه من الشِّرك، ولكنَّه أهون من الثاني؛ فإنه عظَّم من لا يُعظَّم بوجه، وهو

---

(١) [الأمر الثَّاني]

(٢) الأمر الأول الَّذي ذكَره سابقاً: أنَّ الأوَّلين يُشركون في الرَّخاء ويُخلصون في الشِّدة، أمَّا مشركو زماننا في الجميع مشركون.

الأمر الثاني: أنَّ الأوَّلين يدعون صالحين، أمَّا الآخرين يدعون فُجَّار وزُناة وبهائم.

(٣) يعني: السَّابقين.

كالمعاند أيضاً، النُّصوص الشَّرعيَّة دلَّت على نقص هذا وأنه مرذول ومَهِين، وهذا عاكَسَ الشَّرعَ وجعله معظَّماً، فصار شِركه أعظم، وإن كان الكلُّ شرك وكفر وضلال.

فظهر بذلك صحَّة ما قاله المُصنِّف، وأنَّ شرك مشركي زماننا أعظم وأغلظ من شرك المشركين الأوَّلين؛ لكنَّ الأوَّلين عندهم شبهةُ أهلِ الجاهلية، وهو أنه مُعظَّم في الجملة، والذي يدعو فاسقاً أو كافراً، يطلب ممَّن كان ممقوتاً مذموماً في الشَّرع ويعبده، فكان معانداً للشَّرع، فاستَويَا في أنَّ الكلَّ شرك، وافترقا فيمَنْ هو مُعظَّم في الجملة، والثَّاني عظَّم مَنْ ليس مُعظَّماً بحالٍ، فصار أعظم شركاً؛ فإنَّ الأوَّلين لو عظَّموهم بغير الشِّرك لكان سائغاً، والفاسق ونحوه لو عُظِّم بدون عبادة له لكان المعظِّم له عاصياً، إذا كان معبودهُ تقام عليه الحدود، أو فاسقاً[1].

---

(١) يعني: لو كان المعبود هذا حي والإنسان يُعظِّمه ويقول: هذا رجلٌ صالحٌ وهذا ولي وهو حي فهذا عيبٌ على الرجل المُعظِّم فكيف إذا مات وعبده وهو فاسق وتجعله ولي تدعوه مِن دون اللَّه؟! فهذا شِركٌ أعظمُ وأعظم.

[1](إِذَا تَحَقَّقْتَ) ممَّا تقدَّم[2] (أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَصَحُّ عُقُولاً[3]، وَأَخَفُّ شِرْكاً مِنْ هَؤُلَاءِ) يعني: من شِرْك مشركي زماننا.

(فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا) يدلي بها بعض مَن في زمن المُؤلِّف، مِن كون ما عليه مشركو زماننا من الشرك كشرك الأوَّلين؛ بل يقولون إنكم ما اقتصرتم على أن جعلتمونا مثلهم بل زدتم، يريد صاحبُ هذه الشُّبهةِ ممَّا اعتَرض به من الفروق نفيَ ما قرَّره المُصنِّف في هذه التَّرجمة، (وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا)، وقد أجاب عنها المُصنِّف رحمه الله بتسعةِ أجوبة، كلُّ واحدٍ منها كافٍ شافٍ في ردِّها؛ لكنْ كثّرها لمزيد كشفٍ وإيضاحٍ.

(وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يعني: لا ينطقون بالشَّهادتين، (وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم) ويمتنعون عن طاعته، (وَيُنْكِرُونَ البَعْثَ) ولا يُصدِّقون به، (وَيُكَذِّبُونَ القُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْراً) ولا يُصلُّون، ولا يصومون، (وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ القُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ

---

(١) [الشُّبهة التَّاسعة: قولهم: إنكم تكفِّرون المسلمين، وعنها تسعة أجوبة في إبطال التفريق بين شركهم وشرك الأوَّلين]

(٢) يعني: قصده رحمه الله أنَّ بعض مَن يعبد من دون اللَّه يعبد مثلاً القبر أو الصَّنم وهو يقول «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فما دام يقول «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فلماذا تُكفِّرونه؟ هذه هي الشُّبهة، والجواب: أنَّ كلَّ شيء له نواقض، و«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» بالنَّواقض ما تنفع.

(٣) لأنَّهم يعبدون صالحين وأولياء وملائكة، أمَّا المتأخِّرين أردى؛ لأنَّهم يعبدون الشَّيطان ويعبدون فرج المرأة ويعبدون بقرة.

بِالبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ؛ فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أُولَئِكَ؟!)[1] فكيف تسوُّون مَنْ يُقِرُّ بهذه الأمور العظيمة وبين مَنْ يجهلها؟ يعني: وأنكم سوَّيتم بين المتفارقين وجمعتم بين المختلفين؛ بل ما اقتصرتم، بل جعلتمونا أعظم جهلاً وضلالاً منهم.

فعرفت أنَّهم يعارضون ما قرَّره المُصنِّف، ويقولون: لسنا منهم، وأنتم جعلتمونا أعظم منهم، كيف تجعلون من كانت فيه هذه الخصال والفروق كمن ليس فيه منها شيء؟!

ويأتيك جواب المُؤلِّف لهم، وأنَّ هذه الفروق غير مؤثِّرة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع؛ بل هذه الفروق ممَّا يتغلَّظ كفرُهم بها[2]؛ فإنَّ الكافر الأصليَّ الذي ما أقرَّ بشيءٍ من ذلك

---

(١) يعني: هم يقولون: أنَّ المشركين الَّذين نزل فيهم القرآن جَمعوا شركاً كثيراً ونحن ما جَمعنا إلَّا شركاً واحداً لماذا تُساوِنا بهؤلاء؟ نقول: ما هو الفرق لو شخصٌ تبوَّل وتغوَّط وأخرج ريحاً وهو قال أنا فقط تبوَّلت لماذا تقولون: تبطل صلاتي؟ نقول: ما دام نقض حتَّى لو مئة ناقض فالحُكم واحد.

(٢) يعني: ناقض واحد أو مئة ناقض تُخرج مِن دائرة الإسلام، فلو أنَّ شخصاً في الجامعة قيل له في النِّظام: لو شخصٌ لم ينجح بثلاث مواد فصاعداً يُفصل مِن الجامعة، فشخصٌ لم ينجح بخمسة مواد فقط، والآخر لم ينجح بعشر، فيأتي صاحب الخمسة هذا ويقول: أنتم لماذا فصلتوني أنا أحسن منه، ذاك عنده عشرة وأنا ما سقطت إلَّا في خمس، نقول: الخمس والعشر والمئة سواء، ما دام أنَّك جاوزت الثالث خلاص.

وكذلك النَّواقض واحد أو مئة سواء، لكنْ يتغلَّظ الكُفر فهذا يُعذَّب عذاب أشد؛ لأنَّه فَعَلَ مُنكرات عظيمة وذنوب كثيرة، لكنْ كلهم يخرجوا من الإسلام - والعياذ باللَّه - ويُخلَّدوا في النَّار، واللَّه عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾.

أهون كفراً ممَّن أقرَّ بالحق وجحده، ولذلك المُرتدُّ أعظم كفراً من الكافر الأصليِّ في أحكامه.

[1](فَالجَوَابُ)[2] عمَّا اعترضوا به من هذه الفروق التي زعموا أنَّها تؤثِّر؛ أنَّ الفروق منقسمة إلى قسمين: فرق يُؤثِّر، وفرق لا يُؤثِّر، فإنَّه إجماعٌ أنَّ هذه الفروق لا تُؤثِّر (أَنْ) مخففة (لَا خِلَافَ بَيْنَ العُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلَامِ) بالإجماع[3]، يعني: أنَّه ليس بمُسلمٍ ولا عنده من الإسلام شعرة؛ فإذا كذَّبه في واحد وصدَّقه في الألوف، من الصَّلاة والصَّدقة ونحو ذلك، فهو قاضٍ على تلك الألوف، فإذا كان مَنْ صدَّقه في شيءٍ وكذَّبه في شيءٍ فهو كافر، فكيف بالتَّوحيد الذي هو أعظم فريضة جاء بها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم؟! عمَد إلى زبدة الرِّسالة، وجعل لفاطر الأرض والسَّموات شريكاً في العبادة، فصرف له الدُّعاء الذي هو مُخُّ العبادة وخالصها، إمَّا أَنْ يدعوَ غيره وحده، أو يجعلَه شريكاً له.

فإذا كانت تلك الفروق لا تؤثِّر فكيف بالتَّوحيد؟ لكن - والعياذ باللَّه - طمس على قلوبهم الشِّركُ، وامتزجت به؛ فإنَّ أهلَ هذه الشُّبهةِ من أهل الجهالات والضَّلالات؛ فإنَّ صاحبَ النَّظر المُنْصف إذا نظر في أهل هذه الشُّبَه لقِيَهم مفاليس من العلم بالمرَّة.

(وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ) ولو حرفاً واحداً، أنكره وجحده، أو جحد شيئاً مما ثبتَّ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فهو كُفرٌ ظاهر؛ أيُّ كفرٍ فوق كفرِ

---

(١) [الجواب الأوَّل]

(٢) أنَّه إذا أتى بمُكفِّرٍ واحدٍ يكفر، ولا يلزم الإتيان بجميع المُكفِّرات.

(٣) وأيضاً أجمع العلماء أنَّه لو أنكر حرفاً واحداً مِن القرآن يكفر حتَّى لو كان من أعلم وأعبد النَّاس، وحتَّى لو كان يترك المكروهات ويفعل المستحبَّات، ويصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم اللَّيل، لكنْ يكفر بحرفٍ واحد، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ يقول: وإيابَهُم، يقول: هذا الحرف لا يصلح مثلاً يكفر بإجماع العلماء، فكيف بمَن يطوف على القبور ويدعوهم من دون اللَّه؟!

تكذيبِ اللَّه ورسوله؟!

(كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ) لفظاً ومعنىً، (وَجَحَدَ) فرعاً من فروع الشَّريعة معلوماً أن الرَّسولَ جاء به، كمَنْ جحد (وُجُوبَ الصَّلَاةِ) الذي يجحد الصَّلوات الخمس كافر بالإجماع، ولو أنه يفعلها، وجاء بالتَّوحيد.

(أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ) ولو كان يؤدِّيها، فهو كافر بإجماع الأمَّة.

(أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمَ) ولو أنه يفعله، فإنه كافر بإجماع الأمَّة لتكذيبه اللَّه ورسوله.

(أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجَّ) إلى البيت، وإن كان يحج، فهو كافر بالإجماع لتكذيبه اللَّه ورسوله، وردِّه إجماع الأمَّة.

(وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِلْحَجِّ) إلى البيت (أَنْزَلَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾) يعني: واجبٌ للَّه على المستطيع من النَّاس أَنْ يحجَّ (﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾) يعني: ترك ذلك (﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]) فدلَّ على أنَّ ترك ذلك كفر؛ فمَنْ جحد ذلك فقد كَفَرَ؛ فدلَّ على فرضية حجِّ البيت؛ فدلَّ على أنَّ الذي لا يعتقد ذلك كافر، وهذا بخلاف العاجز.

وكذلك منع الزَّكاة بُخلاً بخلاف الجاحد[1]، فأمَّا ترك الصَّلاة تهاوناً فاختيار أحمد وحكى إسحاق بن راهويه كفرَه بالإجماع.

---

(١) مَن منع الزَّكاة في عهد أبي بكر رضي الله عنه لمَّا غزاهم الصَّحابة رضي الله عنهم وأجمع الصَّحابة على كُفرهم، دخلوا على بعضهم وهم في المساجد يقرؤون القرآن، ومع ذلك اتَّفق الصَّحابة على أنَّهم كفَّار؛ لأنَّهم أنكروا وقاتلوا دون الزَّكاة.

(وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ البَعْثَ) أي: جحد بعث هذه الأجسام بعد بلائها وإعادة أرواحها إليها يوم القيامة (كَفَرَ - بِالإِجْمَاعِ -) بإجماع أهل العلم، (وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ) ولم ينفعه الإقرار بما أقرَّ به[1]؛ (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ[2] وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ الآيَةَ [النساء:١٥٠ - ١٥١])، فصرَّح اللَّه تعالى في هذه الآية أنه الكافر حقاً؛ فدلَّ على أنَّه لا يشترط أن لا يكون كفراً إلا إذا كَفَرَ بجميعِ ذلك كلِّه؛ بل هذا كفر نوعي؛ فإنَّ الكفرَ كفران: كفرٌ كليٌّ، وكفرٌ نوعيٌّ، ولا فرق بينهما؛ مَنْ كَفر ببعضٍ فكمَنْ كَفر بالكلِّ؛ لا فرق.

(فَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ؛ فَهُوَ الكَافِرُ حَقّاً؛ زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ - وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا -) وبهذا ظهر واتَّضح أنَّه يوجد فروق ولكن لا تؤثِّر؛ فإن الرِّدَّة ردَّتان:

رِدَّة مُطْلَقة: وهي الرُّجوع عمَّا جاء به الرَّسول جملة.

والثَّاني: أَنْ يكفر ببعض ما جاء به؛ فإنَّه إجماعٌ بين أهل العلم أنَّ الذي يَرْتدُّ عن بعض الدِّين كافر؛ بل يرون أنَّ الاعتقاد الواحد والكلمة الواحدة قد تُخرِج صاحبها عن جملة الدِّين.

---

(١) وكذلك مَن جحد أركان الإيمان السِّتة، لو واحدٌ منها اختلَّ يسقط البُنيان، فلا يَلزم أنَّه يكفر بجميع الأركان السِّتة وإنَّما ولو واحد، فلو كفر برب العالمين وآمن بالملائكة ما ينفعه، ولو آمن باللَّه وكفر بالملائكة ما نفعه، فلا بدَّ الإيمان بهم جميعاً.

(٢) يعني: في الإيمان، فمثلاً: النَّصارى يقولون: صحيحٌ الرَّسول محمَّد لكنَّه لكم ليس لنا، ففرَّقوا بين الرُّسل، ومع ذلك اللَّه عز وجل توعَّدهم بالنَّار.

وبهذا انكشفت الشُّبهة، وعُرف أنَّ التَّفريق بالفروق التي ذُكرت من الفروق التي هي غير مؤثرة.

[1](وَيُقَالُ - أَيْضاً -) هذا جواب ثانٍ للشُّبهة السَّابقة: (إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالمَالِ - بِالإِجْمَاعِ -، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا البَعْثَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا يَجْحَدُ) الخصم (هَذَا) لا ينكر ما قُرِّر من وجوب هذه المذكورات ولا يستقيم الإسلام، بل ينتقل الإسلام كله ويزول من أساسه، (وَلَا تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ) لا تختلف المذاهب في أن جَحْدَ وجوبِ واحدٍ منها كافٍ في انتكاس العبد، وأنه كافر بالإجماع (وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآنُ - كَمَا قَدَّمْنَا -) أنَّ من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً.

(فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ) فريضة (الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ) وتصديقه بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينفعه ولا يجدي عليه.

(فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَفَرَ - وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم -؛ وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ -: لَا يَكْفُرُ؟!)[2] فإذا كان هذا فيمن جحدَ واحداً من أركان الإسلام، فكيف بمن جحدَ التوحيد الذي هو أساس المِلَّة والدين؟! فإنه أعظم، فلا ينفعه تصديقه بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حيث جحدَ الأصل.

إذا صار جَحْدُ فرعٍ من فروع الدين كُفراً، فكيف بجحد الأصل وهو التوحيد؟! فلو قُدِّر - وهو لا يكون - أن هذه الفروعَ كلَّها - من الصلاة وما بعدها - ليست معصية ولا

---

(١) [الجواب الثَّاني]

(٢) يعني: قصده رحمه الله إذا كان جحود الصَّلاة كُفرٌ فكذلك جحود التَّوحيد كُفرٌ من باب أولى؛ لأنَّ التَّوحيد هو أعظم من بقيَّة الشَّرائع.

عظيمة، لكان جحدُ التوحيد كفراً برأسه، فكيف وهو الأصل[1]؟! فإنَّ هذا الجهل بمكان؛ لا يجحد هذا الخصم أنه يُخرج من الإسلام بمفرده، والكفر باللَّه لا يتبعض فمن كفر بألوهيته فقد كفر به.

يجعلون من يهدم أساسَ الدين صباحاً ومساءً أنه مسلم لكونه يدَّعي الإسلام، والذي يجحد وجوب الزكاة ولو كان يؤديها كافر بالإجماع! (سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْجَبَ هَذَا الجَهْلَ!) فإنَّ جهل هؤلاء من أعجب الجهل، كونُ الواحدِ منهم يُقِرُّ أن جحد الصَّلاة كُفر بالإجماع أو جحد غيرها مِن أركان الإسلام كُفر، وجحد التوحيد ليس بكفر؟! فلو قُدِّر أنها لا تكفِّر - وهو لا يقدَّر- فجحد التوحيد وحده يُكَفِّر.

والدليل: أنَّ الأصل لا يزول بزوال الفرع، بخلاف الفرع فإنه يزول بزوال أصله؛ كالحائط والشجرة إذا زال أصله زال فرعه.

فالحاصل: أنه لو قُدِّر أنَّ التوحيدَ بعضُ المذكورات، لكان جحدُه كفراً، فكيف وهو أساس ذلك كله؟! بل التوحيد قد يكفي وحده في إسلام العبد ودخوله الجنة؛ فإنه إذا تكلم بكلمة التوحيد ثم توفِّي قبل وجوب شيء من الفروع عليه كفى التوحيد وحده؛ فالتوحيد ليس فقيراً إليها، بل هي الفقيرة إليه في صحتها[2].

فلا أعجب ولا أقبح ولا أعظم ممن جَهِل هذا، فإذا كان مقرّاً أن من جحد شيئاً من

---

(١) يعني: لو كان التَّوحيد من شرائع الإسلام وجحدَها الإنسان يكفر، فما ظنُّك لو كان هو الأصل مِن باب أولى أنَّه يكفر.

(٢) وهذه قاعدة عظيمة؛ فلو كان الشَّخص مُوحِّداً توحيداً كاملاً وعنده توكُّل عظيم فلا نقول: أنَّ السِّواك يُقوّي التَّوحيد مثلاً، وكذلك لو كان الإنسان يتصدَّق ويسْتاك نقول: ما ينفعك هذا إلَّا بالتَّوحيد.

هذه الفروع فهو كافر - وهو لا يَجحد هذا -، وإذا جحد التوحيد الذي هو الأصل وما بعده فرع عنه لا يكفر! فلا أعجبَ مِن جَهْلِ مَن جَهِلَ هذا.

[1](وَيُقَالُ - أَيْضاً -) هذا جوابٌ ثالثٌ: (هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم) كفَّروا و(قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ)، ورَأَوْا أنَّه مِن أفضل قتال أهل الرِّدَّة، واستحلُّوا دمائهم، وسَبَوْا ذراريَهم، وهم يدَّعون الإسلام (وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُؤَذِّنُونَ وَيُصَلُّونَ)[2] ولم يَرتدُّوا بجحد الشَّهادتين وترك قولهما، ولا الصَّلاة، ولا غير ذلك، بل دانوا بما دان به غيرهم من جزيرة العرب.

(فَإِنْ قَالَ) المُشبِّه: (إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ) يعني: كفَّروهم لقولهم: مسيلِمَة نبيٌّ؟

(قُلْنَا): نعم، (هَذَا هُوَ المَطْلُوبُ) هذا هو مطلوبنا، فهؤلاء ما صدر منهم إلا أنهم قالوا: إنه نبي، فجَنَوا على الرسالة، وصار مبطلاً توحيدهم ودينهم.

(إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلاً إِلَى رُتْبَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ، وَلَا الصَّلَاةُ)، ولا الصِّيام، ولا الأذان؛ وأنت تُقرُّ بهذا - وهذه جريمةٌ: رفعُ مخلوقٍ إلى رتبة مخلوق -.

---

(١) [الجواب الثَّالث]

(٢) يعني: يُبيِّن أنَّ بني حنيفة لم يتركوا جميع شعائر الإسلام وإنَّما في جزءٍ من أجزائها فقاتلهم الصَّحابة رضي الله عنهم، وكذلك مَن يشهد «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ويصوم ويُصلي لكنْ يطوف على قبر كحالهم.

يعني: لا يُشترط أنَّ الإنسان لا يخرج مِن الدِّين حتَّى يأتي بجميع المُكفِّرات، بل بنو حنيفة كما سيأتي كانوا يتلون القرآن، والصَّحابة دخلوا عليهم في المساجد وقاتلوهم وهم في المسجد، يعني: كان فيهم صلاح ومع ذلك قاتلهم الصَّحابة لِإتيانهم شيء مِن الرِّدَّة.

(فَكَيْفَ بِمَنْ) جَنَى على الألوهيَّة فرفع مخلوقاً إلى رتبة خالق؟ فالعلماء كفَّروا مَنْ جَنَى على الرِّسالة، فكيف بمَنْ جَنَى على الألوهيَّة؟!

فالَّذي يعبد مع اللَّه غيره قد جَنَى، بل لا أعظم من جنايته (رَفَعَ «شَمْسَانَ»، أَوْ «يُوسُفَ»، أَوْ صَحَابِيّاً، أَوْ نَبِيّاً؛ فِي رُتْبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ؟!)[1] يعني: هذا أولى بالكفر والضلال، لأنه صَرَفَ للمخلوق من أنواع العبادة ما لا يستحقُّه إلا الخالق، وهذا من قياس الأولى يعني: إذا كان جنس ما احتجوا به كفراً فبطريق الأولى هذا، فهذا ردٌّ عليهم من نفس ما احتجوا به، وإلَّا فالأدلَّة في ذلك معلومة.

(سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٩]) كهذا الطَّبع على قلب هذا الجاهل، كيف يُتصوَّر أنَّ مَنْ رَفَع رجلاً إلى رتبة رجلٍ فهو كافر، وإذا رفع رجلاً في رتبة جبَّار السَّموات والأرض لا يكفر؟!

---

(١) هذه معبودات كانت في عهد الشَّيخ محمَّد بن عبد الوَّهاب رحمه الله مثل شمسان وغيره.

[1](وَيُقَالُ - أَيْضاً -) هذا جوابٌ رابعٌ للشُّبهة السَّابقة في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...) إلخ[2].

(الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ) وهم من الشِّيعة الغالية من أصحاب عليٍّ، زادوا في محبَّته وتعدَّوا الحدّ[3]، وذلك بدسيسةِ ناسٍ من أصحابه منافقين، دسُّوها ليفسدوا على الناس دينهم - أتباع عبد اللَّه بن سبأ؛ ادَّعى الإسلام وأراد أن يفتكَ بأهل الإسلام ويُدخلهم في الشِّرك - تعدَّوا الحدَّ في محبة علي وتعظيمه، حتى ادَّعوا فيه الإلهية.

(كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلَامَ) ويعملون أعمال الإسلام، (وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنِ) ظهرت منهم المقالة الرَّديَّة (آعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ) الاعتقاد الباطل؛ اعتقدوا فيه السِّرَّ- يعني: الألوهيَّة - (مِثْلَ الِاعْتِقَادِ فِي «يُوسُفَ» وَ«شَمْسَانَ» وَأَمْثَالِهِمَا) كعبد القادر والعيدروس؛ كاعتقاد أهل زماننا في غيرهم، فلمَّا رأى ذلك منهم عليٌّ رضي الله عنه خَدَّ لهم أخاديدَ[4] عند باب كِندة، وأضرم فيها النِّيران، وقذفهم فيها من أجل مقالتهم فيه، وقال:

لَمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أَمْراً مُنْكَراً ... أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوتُ قُنْبُراً

---

(١) [الجواب الرَّابع]

(٢) يعني: هم يقولون: كيف تقولون: أنَّ الَّذي يطوف على القبر مشركٌ ونحن نقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؟ نقول: الذين حرَّقهم عليٌّ وأجمع الصَّحابة على كفرهم يقرأون حتَّى القرآن.

(٣) قالوا: أنَّ عليّاً هو الرَّب يغلون فيه، فعليٌّ رضي الله عنه يقول: هذا منكرٌ عظيم فحرَّقهم، كيف تقولون أنِّي أنا الرَّب؟!

(٤) يعني: حَفَرَ لهم حُفراً وأشعلها ناراً ثُمَّ أخذهم ووضعهم فيها، كيف تقولون أنا إله؟!

فهذا الأمر من عليٍّ رضي الله عنه وافقه عليه جميع الصَّحابة، ورأوا أنهم مرتدُّون وأنَّ قتلهم حقٌّ، وابن عباس كغيره في ذلك إلا أنَّه قال: لو قَتَلْتَهم بالسَّيف، وقال: «لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»، وعليٌّ رضي الله عنه فِعْلُه مَزِيدُ اجتهادٍ منه؛ رأى تحريقَهم لغلظ كفرهم كما حرَّق أبو بكر بعض المرتدِّين.

(فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟! أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ؟! أَتَظُنُّونَ أَنَّ الِاعْتِقَادَ فِي «تَاجٍ» وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالِاعْتِقَادَ فِي عليِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟!).

فحينئذٍ إذا تحقَّقتَ وعَلِمْتَ أنَّ هذا صدَر من عليٍّ على وقت الصَّحابة فيلزم أهلَ هذه الشُّبهةِ أحدُ ثلاثة أمور:

إما أن يقولوا: إنَّ الصَّحابة غلطوا وأخطؤوا وكفَّروا المسلمين، وقتلوا من لا يستحقُّ الكفر والقتل وهم على ضلالة، وهم لا يقولون ذلك لوضوحه في السِّير والتأريخ، وإن قالوه في الصَّحابة فهو كافٍ في الرَّدِّ عليهم؛ لأنَّهم صاروا من الخوارج الذين يكفِّرون الصَّحابة ويسبُّونهم، أو يقولون: حاشاهم من تكفير المسلمين، ومِن قصدِ ظلمهم أو الاجتماع على غلط.

وإما أن يقولوا: إنَّ الاعتقادَ في تاجٍ وأمثالِه والتَّوسُّلَ بالصَّالحين وسؤالَهم قضاءَ الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللَّهفات لا يضر، والاعتقاد في عليِّ بن أبي طالب يكفِّر، وهم لا يقولون ذلك، فإنْ قالوا: إنه لا يكفِّر؛ كفى أنه كُفر وشرك، وظهر عظيم جهلهم لفضل عليٍّ على هؤلاء بما لا نسبة فيه، فلو كان مسامحةً في دعوة غير اللَّه أو يكون أسهل لكانت دعوة عليّ.

فحينئذٍ يلزم الأمر الثَّالث: وهو أن يذعنوا ويُسلِّموا أنَّ مَن تعلَّق على غير اللَّه بأيِّ نوعٍ من أنواع العبادة فهو كافر خارج من المِلَّة مرتدٌّ، أغلظُ كفراً ممَّن ليس معه هذه الأعمال،

وأنَّ إقراره بالشَّهادتين والصَّلاة والزَّكاة ونحو ذلك فرق غير مؤثِّر وغير نافع، فظهر بذلك أنهم ضُلَّال في تشبيههم وترويجهم؛ فإنَّ الغالية في عليٍّ ما اعتقدوا فيه إلَّا مثل الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله من هذه الأصنام.

وإن قالوا: ليس من الغلو؛ ففي أوَّل الكتاب ما يُبيِّن أنَّه من الغلو بعبادة المخلوق مع اللَّه[1].

---

(١) مثل: لو شخص يسرق ونريد أنْ نقطع يده يقول: لا، أنا أُصلي! نقول: نعم تُصلي لكنْ فعلت شيئاً يوجب قطع اليد، وكذلك لو شخص يدعو مِن دون اللَّه فيقول: أنا أقول «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» نقول: ما ينفعك.

[1](وَيُقَالُ - أَيْضاً -) هذا جوابٌ خامسٌ للشُّبهة السَّابقة: («بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ») الذين ادَّعَوا أنهم فاطميون وساعدهم على ذلك مَنْ ساعدهم - وهم أدعياء ليسوا بفاطميِّين - أبوهم وقصَّة تزوُّجه المرأة وتأريخهم معروف (الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ) وطالت لهم يَدٌ أيضاً على الحَرَمَيْن؛ ملوكهم يُسمَّون الحاكميين؛ الحاكم فلان، والحاكم فلان: (كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ) وَيُنَصِّبُونَ القضاة والمفتين.

(فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ - دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ -) كاستحلال بعض المحرمات، مثل تجويزهم الجمع بين الأختين؛ (أَجْمَعَ العُلَمَاءُ) في وقتهم (عَلَى كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ) ولا جعلوا الشَّهادتين والصَّلاة والزَّكاة والجمعة والجماعة فَرْقاً مؤثِّراً، بل رأوه لاغياً وذلك أنه وُجِدَ مُكفِّر فلم ينفعهم ما هم فيه.

(وَ) أجمعوا في وقتهم على (أَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ) وأنَّ جهادَهم أفضلُ الجهاد، (وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّى ٱسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ)[2] وصنَّف ابن الجوزيِّ كتاباً سمَّاه: «النَّصر على مصر»[3].

فكيف بما نحن فيه من التَّظاهر بدين الإسلام، مع نقض أساس المِلَّة بعبادة غير

---

(١) [الجواب الخامس]

(٢) لأنَّهم استَوْلَوا على أراضي المسلمين أربعة قرون وهم الذين بنوا الأزهر، كانوا يظهرون الإسلام ويُبطنون الكُفر، وهم الذين اختلقوا قبر الحسين وإلَّا الحسين ليس له شيء.

(٣) وذكَر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية يوم الجمعة إذا أتى ذِكر الحاكم يقوم النَّاس وهم في الصف ويركعون له حتَّى وهو غائب ثُمَّ يجلسون، يعني: المقصود أنَّهم يُظهرون شعائر الكُفر.

اللَّه؟!

ولا فَرق بين مَنْ يكون كُفره عناداً أو جهلاً؛ الكفر: منه عناد، ومنه جهل، وليس من شرط قيام الحُجَّة على الكافر أَنْ يفهمَها، بل من أقيمت عليه الحُجَّة، مثلُ ما يفهمها مثله فهو كافر، سواء فهمها أو لم يفهمها[1]، ولو كان فهمُها شرطاً لمَا كان الكفر إلَّا قِسماً واحداً وهو كفر الجحود[2]؛ بل الكفر أنواع، منها الجهل وغيره.

المقصود: أنَّ العلماء أجمعوا على قتالهم وكُفرهم، والأُمَّة لا تجتمع على ضلالة.

وبذلك عرفتَ انكشاف هذه الشُّبهة؛ وهو أنَّ النُّطق بالشَّهادتين لا يكفي مع ما انضمَّ إليه من فعل الطَّاعات إذا وُجِد أحد المكفِّرات.

---

(١) قاعدة عظيمة في العُذر بالذَّنب أو عدم العُذر منه «وليس من شرط قيام الحُجَّة على الكافر أَنْ يفهمَها، بل من أقيمت عليه الحُجَّة، مثلُ ما يفهمها مثلُه» يعني: مثل القرآن حُجَّة للنَّاس فأيُّ أحدٍ يسمع أنَّه يوجد قرآن أُنزل من السَّماء فهذه حُجَّة، فَهمت أم لم تفهم هذا لا ننظر إليه؛ لأنَّه مَن مثلُك عاقلٌ يفهم، واللَّه عز وجل يقول: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾، واللَّه يقول: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ ونِذارة ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فكلُّ مَن سَمِعَ بالقرآن قامت عليه الحُجَّة، فلو مات يموت على الكُفر - والعياذ باللَّه - إذا لم يُسلم.

(٢) مثلُ: يفهم ويعرف الذي في القرآن ويُفسِّر القرآن لكنْ يُنكر بعض الآيات، أو كُفر جهل، لذلك أجمع أئمَّة الدَّعوة وشيخ الإسلام وغيرهم عدم العُذر بالجهل؛ للآيات العظيمة الكثيرة ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ وغيرها كثير.

فإذا قيل: ما ذنب هذا الجاهل؟ نقول: اللَّه يقول: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فاحْمدِ اللَّه أنَّ اللَّه هداك.

[1](وَيُقَالُ - أَيْضاً -) هذا جوابٌ سادسٌ على الشُّبهة السَّابقة: (إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ، وَالقُرْآنِ) يعني: وتكذيبِه، (وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ)[2].

(فَمَا مَعْنَى البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ) من المذاهب الأربعة وغيرها («بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ») وعرَّفوه بتعاريف (وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ)؛ فهذا المذكور في هذا الباب إجماعٌ منهم أنَّه يخرج مِن المِلَّة ولو معه الشَّهادتان، لأجل اعتقادٍ واحدٍ أو عملٍ واحدٍ أو قولٍ واحدٍ يكفي بإجماع أهل العلم لا يختلفون فيه، وأنه ليس المُرتدُّ الذي يخرج عن الإسلام بالمرَّة؛ بل هو قِسم، والقسم الآخر هو ما تقدَّم.

(ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعاً كَثِيرَةً) ومثَّلوا له أمثلة، (كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ) وقالوا: مَنْ قال كذا، أو اعتقد كذا فهو كافر، وأنَّه لا ينفعه جميع ما عمل به.

(حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً - عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا -؛ مِثْلَ كَلِمَةٍ يَقُولُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ) حتى إنَّ بعضَ أهلِ المذاهب يُكفِّرون مَنْ صغَّر

---

(١) [الجواب السَّادس]

(٢) يعني: الجواب السَّادس: أنَّ العلماء ذكروا في كلِّ بابٍ من أبواب الفِقه «بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ» فلو استهزء بكلمةٍ بالقرآن يكفر، ولو استهزء برب العالمين سبحانه وتعالى يكفر، ولو استهزء بالرَّسول صلى الله عليه وسلم يكفر، فلو كان الإنسان لا يكفر إلَّا إذا فعل جميع أنواع المُكفَّرات نُسمِّيه كُفرٌ، نقول: ما ذَكره العلماء مِن السَّلف إلى الآن لَغو وغير صحيح، لكن ما ذكروا هذا الباب إلَّا لأنَّ المُكفِّر الواحد حتَّى لو فعل حسناتٍ كثيرة يخرج مِن الدِّين.

اسم المسجد أو المصحف[1].

وما ذكروه وعرَّفوه هو في الجملة، يُوجد أشياء يكون بها الإنسان مُرتدّاً ولو نطق بالشَّهادتين وصلَّى؛ بل ولو أضاف إلى ذلك ترك المحرَّمات، وأتى بمكفِّرٍ هدَم جميع ما معه من الإسلام؛ فإنَّ وجود المكفِّرات التي يصير بها الرجل مرتداً كثيرة لا تحصر.

والواحد من أسباب الرِّدَّة، كونه يجعل له واحداً من حقِّ ربِّ العالمين كافٍ في كفره، وكونه اتَّخذه إلهاً ولو ليس من كلِّ وجه، بل يكفي كونه جعله يصلح لحقِّ ربِّ العالمين؛ فليس من شرط المرتد أن يجمع بين أطراف الردة، أو يجمع الشركيات، أو أن ربَّ العالمين ومعبوده واحد في جميع ما يستحق.

وبهذا تنكشف شبهته؛ وهو أنَّه ولو نطق بالشَّهادتين وصلَّى وصام فإنه يصير به مرتدّاً، ويصير أسوأ حالاً ممن لم يكن معه أصل الإسلام عند جميع العلماء.

والصَّحيحُ من قولَي العلماء: أنَّ كُفَّار هذه الأزمان مُرتدُّون؛ فكونهم ينطقون بـ «لا إله إلا اللَّه» صباحاً ومساءً وينقضونها صباحاً ومساءً، فـ «لا إله إلا اللَّه» يدخل بها في الإسلام في الجملة.

والقول الثَّاني: أنهم كُفَّار أصليُّون؛ فإنهم لم يوحِّدوا في يوم من الأيام حتى يُحكَم

---

(١) يعني: لو قال شخصٌ: هذا مُسيجد عند بعض العلماء يكفر مثل الأحناف، ولو قال هذا مُصيحف يكفر، ولا يجوز أنْ يقول هذا مسجد صُغيِّر تصغير صغير عندهم يكفر؛ لأنَّ مِن معنى التَّصغير الاحتقار.

بإسلامهم[1].

(١) مثل: الذي يطوف على القبر ويقول: أنا مسلم، عند بعض العلماء يرى أنَّه يرتد ويُسلم يرتد ويُسلم، إذا صلَّى وترك الكفر مُسلم، ثم إذا طاف على القبر رِدة، وبعض العلماء يرى أنَّه كافر أصلاً يحتاج تصحيح الدِّين حتَّى يترك هذه الأمور.

[1](وَيُقَالُ - أَيْضاً -) هذا جوابٌ سابعٌ[2] عن شبهتهم السَّابقة والأجوبة السَّابقة؛ ظاهرة لك في كشف تلك الشُّبهة: (الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]؛ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ - مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُونَ -؟) وينطقون بالشَّهادتين، ويدينون دين المسلمين في الظَّاهر[3]، فكيف بمَنْ جعل الأنداد مَعاذَه ومَلَاذَه ومَلْجَأَه في الرَّغبات، كما هو الوقع من القُبوريِّين - والعياذ باللَّه -، فلسانه يقول: «لا إله إلَّا اللَّه»، وعمله يقول: لا إله إلَّا فلان.

(وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥ - ٦٦]).

(فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللَّهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ - وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ) كفروا بسبب كلمةٍ واحدةٍ، وهم يعملون الأعمال الشَّرعية ويعملون أعمال المسلمين، فصاروا بها كُفَّاراً بعد

---

(١) [الجواب السَّابع]

(٢) وخلاصته: أنَّ مَن أتى بمُكفِّرٍ واحدٍ يخرج مِن الدِّين ولا يَلزم أنْ يأتي بجميع المُكفِّرات، ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ مع أنَّهم ذهبوا مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم للجهاد إلى تبوك، ومع ذلك قال اللَّه: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ بكلمةٍ واحدة.

(٣) ويصلُّون خلف النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾.

إيمانهم؛ لمَّا صدر منهم شيء واحد صاروا كُفَّاراً مرتدين، فبهذا تنكشف شُبهة المشبِّه بهذه الشُّبهة[1].

(فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ: وَهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ! - أُنَاساً يَشْهَدُونَ أَنْ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ -، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا) يعني: ما ذكره المُصنِّف عليها من الأجوبة؛ (فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ) فإنه من أنفع ما ذكره المُصنِّف في هذا المؤلَّف؛ وذلك لأنها شبهة قد تَرُوج على مَن لا يعرف ولا يفهم، فيظن أن ما ذكره المشبِّه فروقاً مؤثِّرة؛ وبما ذكره المُؤلِّف رحمه الله يتبيَّن لك أنَّها فروق غير مؤثِّرة، فإنَّ أهلَ العلم مُجْمِعُون على أنَّ هذه فروق لا تؤثِّر.

---

(١) يعني: المُصنِّف رحمه الله هنا ذكَر النَّص، وقبل ذكَر إجماع الصَّحابة، وقبل ذكَر إجماع العلماء أنَّ مَن أتى بمُكفِّرٍ واحدٍ - والعياذ باللَّه - يخرج مِن الدِّين.

[1](وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً)[2] هذا زيادة على الأجوبة السَّبعة السَّابقة في كشف شبهته، وهي قوله: (تُكَفِّرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ! أُنَاساً يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...) إلخ: (مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - مَعَ إِسْلَامِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَصَلَاحِهِمْ -) والمراد: بعلمهم بالنِّسبة إلى غيرهم في زمنهم؛ يعني: أنهم أتباع موسى ويقتبسون من علمه وممَّا جاء به، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨] فإنَّه دالٌّ على أنَّ صدورَ ذلك منهم عن جهلٍ.

(أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾) كأنَّه أَعْجبَ مَنْ أعجبه منهم واستحسنوه، فـ﴿قَالَ﴾ - موسى مُنْكِراً عليهم -: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨].

(وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم) لمَّا مرُّوا بقومٍ يُعلِّقون أسلحتَهم على شجرةٍ ويسمُّونها بهذا الاسم: («اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ») فأنكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، وغلَّظ هذا الإنكار بأنواع التَّغليظ (فَحَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَنَّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف:١٣٨]) الآيات.

[3](وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ) عند كشف شبهتهم السَّابقة (شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ) يشبِّهون ويُمانعُون في كون ذلك دليلاً، (وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»؛ لَمْ يَكْفُرُوا).

---

(١) [ثامن وتاسع]

(٢) ذكَر دليلاً مِن الكتاب ودليلاً مِن السُّنَّة وهو أنَّ قوم موسى لمَّا طلبوا وقعوا في الشِّرك، وهذه الأمة لمَّا طلبت وقعت في الشِّرك الأصغر ولو فعلوا لخرجوا مِن الدِّين.

(٣) [دَفْع اعتراضهم على الاستدلال بالقصَّتين]

قالوا: فلا يصلح احتجاجكم بالقصَّتين علينا، فإنَّكم احْتَجَجْتُم بقصَّتين على تكفيرِنا وهم لم يَكْفُروا بذلك.

(فَالجَوَابُ أَنْ نَقُولَ):

(إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا) فعدمُ كُفرِهم لا من قصور أن يكون كفراً.

(وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَفْعَلُوا) بل استحسنوا شيئاً وطلبوه.

(وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا، وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَٱتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ - بَعْدَ نَهْيِهِ -؛ لَكَفَرُوا) لو عكفوا على القبور، وكذلك لو اتَّخذوا إلهاً لكَفَروا؛ هذا لا يُنازِع فيه أحد، ولا ينفع اتِّباعُ الرَّسُول والأعمالُ الأُخَر، فعدمُ كفرِهم ليس من قصور العمل عن أن يصل إلى التَّكفير - يعني: أنَّ وجهَ احْتِجَاجِنا هو بتقدير الفعل؛ لو صدر لكان كفراً، فكان احتجاجاً في محلِّه -؛ ولكنهم لم يفعلوه وإلا لو فعلوه لكان كُفْراً.

(وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ) فسَلِم لنا الاحتجاجُ بالقصَّتين عليكم.

[1](وَلَكِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ) قِصَّة بني إسرائيل، وقِصَّة الَّذين سألوا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم (تُفِيدُ: أَنَّ المُسْلِمَ - بَلِ العَالِمَ - قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشِّرْكِ لَا يَدْرِي عَنْهَا)[2] إذا كان السَّائل في القصَّة مع نبيٍّ وهو موسى وهم أوسع علماً منه، والسَّائل في القصَّة الثَّانية مع نبيٍّ وهم أعلم وأقدم فضيلة، استحسنوا ذلك ظنّاً منهم أنَّ اللَّهَ يحبُّه، وأنَّه من العبادات التي يُتقرَّب بها إلى اللَّه، فكيف بمَنْ دونهم؟!

(فَتُفِيدُ: التَّعَلُّمَ) تعلُّم أسباب النَّجاة، فإنَّه لا نجاة إلا بالعلم ومعرفة الضِّدِّ والشَّرِّ لغيره؛ يعرِفُ الشِّرك وأقسامه ووسائله وذرائعه، ليسلم من الوقوع فيه، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، وقال حذيفة رضي الله عنه: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَهُ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي».

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ ... لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ
وَمَنْ لَا يَعْرِفِ الشَّرَّ ... مِنَ النَّاسِ يَقَعْ فِيهِ

(وَالتَّحَرُّزَ) يعني: اتِّهام العمل أَنْ يكون دَخَلَه شيءٌ من الشِّرك؛ بل يجعل على باله هل أخلص قبل دخوله فيه، وتَفَقَّدِ النَّفس ولحظاتك فيمَنْ هي؟

(وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ: «التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ»؛ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ، وَمَكَائِدِ

---

(١) [ما يُستفادُ منهما]

(٢) إذا كان مَن هم مع موسى طلبوا منه أمراً فيه شرك خَفِيَ عليهم فمِن باب أَولى نحن، بل بعض مَسلمة الفتح طلبوا أيضاً هذا الطَّلب وهم صحابة، لكنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أنكر عليهم ذلك.

الشَّيْطَانِ)[1]، وهذه الكلمة قد صدَرت من بعض الطَّلبة لمَّا كثر التَّدريس في التَّوحيد - متنه أو كتب نحوه - سَئِمُوا وأرادوا القراءة في كتبٍ أخرى، وقيل: إنه من المراسلين؛ فنقم عليه المُصنِّف في هذا القول؛ يعني: أنَّك ما فهمته حتى الآن؛ فقال الشيخ رحمه الله ذلك لينبههم، ففي هذه القصَّة الرَّدّ عليهم فإنَّ هؤلاء أهل علمٍ وصدَر منهم ما صدر.

فلا يُزْهدُ في التَّوحيد، فإنَّ بالزُّهد فيه يقع في ضدِّه، وما هلك مَنْ هلك ممَّن يدَّعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقّه ومعرفتِه حقّ المعرفة، وظنُّوا أنَّه يكفي الاسم والشَّهادتان، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله هل هو موجود أو مفقود؟ وهذا كلُّه من عدم التَّحرُّز ومعرفةِ ألفاظ التَّوحيد لفظةً لفظةً، مَن الذي عرف التَّوحيد كلَّ المعرفة؟! أصله - وللَّه الحمد - معروف؛ لكنْ له أقسامٌ وفروع وشُعب، وضدُّه الشِّرك له فروع[2].

وممَّا يُذكر عن المُؤلِّف أنه يوماً قال: يُذكر البارحة أنه وُجِد رجلٌ على أُمِّهِ يُجَامِعُها، فاستعظم المَحْضر ذلك وضجُّوا منه، رأوا أنَّه منكر كبير، - وهو كبير - ثمَّ قال مرَّة أخرى:

---

(١) يعني: لو قال بعض النَّاس: التَّوحيد نعرفه فلماذا ندرسه لماذا نحفظ فيه؟ نقول: هذا مِن الجهل العظيم، ففي عهد النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم جهِلوا بعضهم هذا التَّوحيد، ومع موسى أيضاً جهِلوا هذا التَّوحيد، فمِن باب أولى نحن.

(٢) يعني: دراسة التَّوحيد لأمرين:

الأمر الأول: مَن كان عالِماً ليرسخ فيه، واللَّه عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾.

الأمر الثاني: مَن كان جاهلاً يتعلَّم هذا العلم، فلا مناص مِن تعليم التَّوحيد لكلِّ أحدٍ سواءً كان عالِماً أو كان جاهلاً.

إنَّ واحداً أصيبَ بمرضٍ شديدٍ فقيل له: اذبح «دُيَيْكاً»[1] لفلانٍ - وليٍّ - فلم يستعظموه.

ثمَّ بيَّن لهم أنَّ الأوَّل فاحشة يبقى معها التَّوحيد، والآخر ينافي التَّوحيد كلَّه، وهذا لم تستعظموه مثل ذاك! وهذا هو الواقع من أكثر النَّاس، فإنَّ النُّفوسَ تستبشع أشياء أعظم من استبشاعها ما هو من ضدِّ التَّوحيد.

---

(١) دُيَيك تصغير دِيك، يعني: اذبح ديكاً صغيراً كأنَّه يقول: ليس فيه شرك، والإنسان لو اعتقد أنَّ في ذبح الذُّبابة أنَّها تدخله الجنَّة وذَبَحَهَا لغير اللَّه يموت على الشِّرك.

يعني: لا فرق بين ذبح دجاجة صغيرة لغير اللَّه وذبح البعير فكلاهُما صرف عبادة لغير اللَّه، سواء نقطة مِن الدَّم أو بحر مِن الدَّم، ما دام أنَّ قلبه انصرف لغير اللَّه فهو شِرك.

(وَتُفِيدُ - أَيْضاً -: أَنَّ المُسْلِمَ المُجْتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ كُفْرٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي، فَنُبِّهَ عَلَى ذَلِكَ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ؛ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ)[1] فإنَّ من الأشياء ما قد يخفى ويكون مجتهداً، وبعد ما يُبيَّن له يرجع[2]؛ (كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم).

(وَتُفِيدُ - أَيْضاً -: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الكَلَامُ تَغْلِيظاً شَدِيداً؛ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم) في إنكاره على أولئك في قولهم: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»، كما تقدَّم[3].

---

(١) وهذه مسألة عظيمة لو شخص قال كلمة كفرٍ ونُبِّه وقيل له: هذا لا يجوز، فقال: استغفر اللَّه وأتوب إليه فهذا لا يكون قد خرج مِن الإسلام، ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ أنكر عليهم موسى ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

(٢) الأشياء الخفيَّة إذا نُبِّه عليها يرجع، أمَّا الأشياء الظَّاهرة لا، يعني: الذي يسبُّ الدِّين هذا أمرٌ ظاهر ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ حتَّى أتَوا واعتذروا وما قُبِل اعتذارهم، وهنا طلبوا شجرةً يُعلِّقون عليها الأنواط حتَّى في زعمهم أنَّها تقرِّبهم إلى اللَّه، فموسى عليه السَّلام أنكر عليهم قال: هذا خطأ ما يُمكن فرجَعوا فهذا أمرٌ خفي، أمَّا الأول وهو الاستهزاء بالدِّين أمرٌ ظاهر.

(٣) فأنكر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عليهم قال: «اللَّهُ أَكْبَرُ» فهذا إنكار «إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» حلف «كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى» يعني: شبَّههم بقومٍ جاهلين، فهذا كلُّه تغليظٌ عليهم، يعني: أنت جاهل تفعل هذا الأمر؟

[1](وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى؛ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَنْكَرَ عَلَى أُسَامَةَ رضي الله عنه قَتْلَ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَحَادِيثُ أُخَرُ فِي الكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا).

(وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الجَهَلَةِ) من إيراد هذه الأحاديث والتشبيه بها: (أَنَّ مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ لَا يُكَفَّرُ، وَلَا يُقْتَلُ - وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ! -) يعني: أنَّ النُّطقَ بها كافٍ في إسلامِ العبد، ومرادهم أنَّكم - معشر المُوحدِّين - تكفِّرون مَنْ يشهد أن لا إله إلَّا اللَّه ... إلخ، وهذا من عظيم جهلهم وعَمايتِهم؛ يرون أنَّ الدِّين رسومٌ فقط، ما دَرَوْا أنَّ لها أرواحاً ومعانيَ؛ لها معانٍ هي المرادة[2]، الألفاظ قوالبُ جُثَّة[3]، والمعاني روح، ويأتيك كشفها ومراد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم من هذه الأحاديث، وأنَّه لا كما ظنُّوا وزعموا.

---

(١) [الشُّبهة العاشرة: أنَّ مَنْ قال: (لا إله إلَّا اللَّه) لا يكفَّر ولا يُقتل ولو فعل ما فعل، واستدلوا بأحاديث]

(٢) يعني: ليس النُّطق فقط، فمعنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لا معبود بحقٍّ إلَّا اللَّه.

(٣) يعني: ذات، و«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تدلُّ على أشياء معنوية.

[1](فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ الجُهَّالِ) في الجواب عن ذلك: (مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاتَلَ اليَهُودَ) في عدَّة مواطن (وَسَبَاهُمْ) أخذ نساءهم مماليكَ وعبيدَ كالصَّنيع بسائر الكفَّار؛ (وَهُمْ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»)، فلا مَنَعَ قولُ: «لا إله إلَّا اللَّه» مِنْ قِتَالِهم وسَبْيِهم.

فدلَّ على أنَّ مُجرَّد قول: «لا إله إلَّا اللَّه» لا يمنع من التَّكفير؛ بل يقولها ناس كثير ويكونون كفَّاراً؛ إمَّا لعدم العلم بها، أو العمل بها، أو وجود ما ينافيها، فلا بدَّ مع النُّطق بها من أشياء أُخر؛ أكبرها: معرفة معناها والعمل به[2].

(وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ؛ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ) ومع ذلك قاتلوهم، وسبوا حريمهم وذراريَهم، مع قولهم: «لا إله إلَّا اللَّه» ... إلخ، لأجلِ مُكَفِّراتٍ أُخَر.

(وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ) مع صلاتهم وادِّعائهم الإسلام، وهم من أصحاب عليٍّ رضي الله عنه، ولكن وقع منهم الغلوُّ في عليٍّ وتجاوُزُ الحدِّ في تعظيمه، حتى ادَّعَوا فيه الإلهيَّة.

فإنَّه ليس المراد اللَّفظ، بل اللَّفظُ وإقرارٌ وعملٌ؛ فإنْ حصلَ فهو معه «لا إله إلَّا اللَّه»، وإلا فإنَّه ما جاء إلا بلفظِها فقط؛ وروحُها وحقيقتها مفقود.

فـ «لا إله إلَّا اللَّه» ينقضها أشياء ليست هي من ذاتها[3]؛ ممَّا ينفي «لا إله إلَّا اللَّه»:

---

(١) [الجواب]

(٢) يعني: ليس معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» نُطق فقط، بل علم وعمل.

(٣) يعني: قد يقول الإنسان: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لكن يعبد غير اللَّه، فما تنفعه «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ لأنَّه ناقضها.

مسبَّةُ الرَّسول، ورَمْيُ أزواجه بالإفك، كلُّ واحدٍ منها ينقض هذه الكلمة العظيمة، فكيف بنفيها نفسِها من عبادة غير اللَّه وجَعْلِ الأوثان قبلةَ قلبِ صاحبها؟! بل هذا أسوأ حالاً ممَّن يمتنع عن النُّطق بها؛ لأنَّه يُؤخذ بأنَّه دخل في الإسلام ثمَّ ما يوجد منه، يفيد أنَّه انتكس عمَّا تسمَّى به؛ فيكون مُرتدّاً، والمُرتدُّ أعظم حكماً من الكافر الأصليِّ؛ منها: أنَّ مالَه فَيْء؛ إلى آخر أحكام المُرتدِّين؛ بخلاف اليهوديِّ والنَّصرانيِّ والمَجوسيِّ فإنَّهم يتوارثون بينهم، هذا من تغليظ كُفره؛ لأنَّه عرف ثمَّ أنكر وأبصر ثمَّ عمي، فصار أغلظ ممَّن لم يقر أصلاً.

(وَهَؤُلَاءِ الجَهَلَةُ) المشركون (مُقِرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ: كُفِّرَ، وَقُتِلَ - وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ -) ولم تنفعه الشَّهادتان.

(وَ) هم مُقرُّون - أيضاً - (أَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئاً مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ) كوجوب الصَّلاة، أو وجوب الصِّيام: (كَفَرَ، وَقُتِلَ - وَلَوْ قَالَهَا -).

(فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ شَيْئاً مِنَ الفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ -؟!).

[1](وَلَكِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَى الأَحَادِيثِ) ولا حاموا حولها وغشى على أبصارهم التَّقليدُ الأعمى والجمود، وإحسان الظَّنِّ بأناسٍ أعرضوا كلَّ الإعراض عن التَّوحيد، وقلَّدوا مَنْ ظنَّ أنَّ قول: «لا إله إلَّا اللَّه» في هذه الأحاديث كافٍ مع الجهل بمدلول «لا إله إلَّا اللَّه».

والإنسان إذا أراد أن يطالع في كلام الفقهاء فإنَّه يجد أنَّ الإنسانَ إذا أتى بمُكفِّرٍ قوليٍّ أو اعتقاديٍّ؛ فإنَّه يَكْفُر ولا ينفعه جميع ما تَسمَّى به وعَمِلَه، والمشركون في هذه الأزمان زعموا أنَّه لا يَكفُر إلا مَنْ تعلَّق عليها وزعم أنَّها تستقلُّ بجلب المنافع ودفع المضارِّ، وهذا من كبير جهلهم، وهذا بعينه دينُ المشركين الَّذين ما أُنزِلت جميع الكتب، ولا أُرسِلت الرُّسل إلا لردِّه وإبطاله؛ فإنَّ المشركين الأوَّلين قلَّ منهم مَنْ يزعم أنَّ مَنْ يلجأ إليه يستقل بجلب المنافع ودفع المضارِّ.

(فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ رضي الله عنه) يعني: وقِصَّته حين قتل الرجل الذي قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه»: (فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلاً ٱدَّعَى الإِسْلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ٱدَّعَاهُ إِلَّا خَوْفاً عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ)، الكفَّار زمنَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أحد رجلين: رَجلٌ يقول: «لا إله إلَّا اللَّه» مُوقِناً مُخْلِصاً ومنافق.

وأمَّا غيرهم فيَأْبَوْن أن يقولوها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥ - ٣٦]، ويوضِّح ذلك قصة عمِّ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم حين قال له: «يَا عَمِّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...» الحديث.

(وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلَامَ؛ وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ) يعني: والحكم الشَّرعي أنَّه لا يُقتَل ويَجبُ الكفُّ عنه ما دام في حالةٍ يحتمل أن يكون صادقاً،

---

(١) [الأحاديث التي استدلُّوا بها لا تدلُّ على شُبْهتهم]

ويحتمل أن يكون كاذباً حتى يتبيَّن منه ما يخالف ذلك[1]، (وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء:٩٤] أَيْ: فَتَثَبَّتُوا، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتُ) وهو التَّأنِّي والنَّظر إلى ما يصير إليه آخر الأمر، (فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ - بَعْدَ ذَلِكَ - مَا يُخَالِفُ الإِسْلَامَ: قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، وَلَوْ كَانَ لَا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا: لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنًى)، وليس المراد: أنَّه يُكفُّ عنه مطلقاً، النَّاطق بالإسلام إنْ قامت القرائن أنَّه إنَّما قال ذلك ليَسلَم من القتل فإنَّها تدوم عصمته حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، فإن تبيَّن منه ما يخالف ذلك قُتل.

---

(١) كما قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا» فمَن قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» نُجريه على الظَّاهر مسلم إلَّا إذا أتى بناقض، فالذي قتله أسامة قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وما أتى بناقض، فسأله النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم «أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟! قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟!».

أمَّا مَن قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وهو يُشرك فما تنفعه «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» كأنَّه ما أتى بها؛ لأنَّه أظهر الكفر بالشِّرك.

(وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ) «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ ...» (وَأَمْثَالُهُ: مَعْنَاهُ: مَا ذَكَرْنَاهُ) ما ذكره المُصنِّف؛ (أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ وَالتَّوْحِيدَ: وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ) سواء احتمل الحال أنه متعوِّذٌ حقاً، أو يحتمل أنَّه صادق؛ (إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ) فإن تبيَّن منه ما يناقض ذلك فإنه يُقاتَل شرعاً حتى يدين بالإسلام.

فصار الَّذي لا يقول: «لا إله إلَّا اللَّه» أصلاً يُعتبر قولهُ: «لا إله إلَّا اللَّه»، وإذا قالها وهو قبلُ يقولها وهو على ما هو عليه من عبادة غير اللَّه فإنَّه ما غيَّر شيئاً، فكأنَّه قال: أنا على ما أنا عليه قبلُ وهو قول: «لا إله إلَّا اللَّه»، فيُقال له: أنت تُقاتَل قبل وأنت تقول: «لا إله إلا اللَّه»، فهو ما خلع ولبِس، بل هو على ما هو عليه، وأهل الكتاب أيضاً حتى لو قالوا: «لا إله إلَّا اللَّه» فإنهم ما غيَّروا شيئاً.

فصار هنا ثلاث صور[1]:

الأولى: أنْ يُعرف أنَّه حينما نطق بها عمل بها؛ فهذا لا يُقْتَل[2].

الثانية: أنْ يُشكَّ في حاله، ولو يُظنّ أنه مُتعوِّذ فقط؛ فهذا أيضاً لا يُقْتَل[3].

الثالثة: أنْ يقولَها ولكن ينقضها؛ فهذا يُقْتَل؛ لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾[4]؛ لأنه تبيَّن منه ما يخالف الإسلام، فحلَّ دمهُ ومالهُ، وكذلك إذا كان مِن قبلُ يقولها ولا يعمل بها ومُتكرِّرٌ منه

---

(١) يذكر هنا رحمه الله لو أنَّ شخصاً قتل آخر وهو يقول «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ما حُكمه؟ ذكَر خلاصة أقوال العلماء.

(٢) مثل أنْ يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وعبادة الاصنام لا تجوز، فهذا لا يجوز قتله.

(٣) لأنَّه لا يُقتل إلَّا مُتيقِّنٌ كفره.

(٤) وهذا كالقِتال في حال الحرب.

ذلك، فلا لها حكم[1].

(١) يعني: شخصٌ يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ويطوف على القبور ثُمَّ يُقاتَل، يقول: لماذا تُقاتلونني وأنا أقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؟ وهذا واضحٌ كَذِبه.

(وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا) على أنَّ هذا هو مراد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ»، «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»؛ مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلاً - حَتَّى إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ صَلَاتَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ -) فالخوارج يقولون: «لا إله إلا اللَّه» ويزيدون على قول: «لا إله إلَّا اللَّه»، (فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَلَا كَثْرَةُ العِبَادَةِ، وَلَا ٱدِّعَاءُ الإِسْلَامِ؛ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ)[1].

فتبيَّن أنَّ مراد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بقوله: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» أنه ليس كل من قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لا يكفر ولا يقتل، فقولهم: إنَّ مَنْ قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، مِنْ عظيم جهلهم؛ فكلُّ إنسانٍ ينظر في نصوص الشَّرع، فإنَّه موجود كثير ممَّن يُقتَل وهو يقول: «لا إله إلَّا اللَّه»، ومن قال خلاف ذلك فليس مِنْ أهلِ العلم بوجهٍ.

(وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قِتَالِ اليَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ) فلو أنَّ مُجرَّد قول: «لا إله إلَّا اللَّه» يَعْصِم الدَّمَ والمالَ لَمَا قاتَلَ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم اليهود، وقاتل الصَّحابة بني حنيفة.

فليس مرادُه مِنْ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟»، وقوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وأحاديث أُخَر في الكفِّ عمَّنْ قالها كما استدلُّوا به هنا؛ بل مراده صلى الله عليه وسلم أنَّ مَن كان قبلُ على الكفر ثم أسلم، فإنه يُكفُّ عنه كفَّ انتظار،

---

(١) يعني: لو قال شخصٌ: لماذا تقتلون مَن يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؟ نقول: النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتل مَن قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إذا كان يأتي بما يُضادُّها كالخوارج.

ولو أنه يَحتمل، فالحكم الشرعي أنه يُكف عنه وينتظر[1]؛ إنِ استقام على الإسلام استمر به، وإلا قتل قتلاً أَشدَّ من الأوَّل، وأسوأَ حالاً وأحكاماً من الأصلي، كما عُلم من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة.

(وَكَذَلِكَ أَرَادَ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَغْزُوَ بَنِي المُصْطَلِقِ) وأَمر بالغزو؛ (لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِباً عَلَيْهِمْ).

(فَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي ٱحْتَجُّوا بِهَا: مَا ذَكَرْنَاهُ) وكذلك الأَمْر بقتل الخوارج، فتبيَّن ممَّا تقدَّم أنَّ قول: «لا إله إلَّا اللَّه»؛ لا يكفي في عِصمة الدَّم والمال، بل إذا تبيَّن منه ما يناقض الإسلام قُتل، ولو قال: «لا إله إلَّا اللَّه».

---

(١) يعني: إذا كان مشكوكاً فيه فما نقتله قد يكون صادقاً، والذي فعله أسامة بن زيد رضي الله عنهما النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قال له: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قد يكون صادقاً لا تقتله.

لكنْ مَن يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ويطوف على القبور فهذا ليس مشكوكاً فيه، فهذا يأتي بمُكفِّرات.

[1]س: ما الفرق بين هذه الشُّبهة والتي قبلها؟

جـ: أمَّا الأولى: فلمَّا ذكر المُصنِّف أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأوَّلين بأمرين، اعترضوا عليه بهذه الشُّبهة وهذه الفروق، وقالوا: نحن نشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، فكيف تجعلوننا مثل أولئك الذين لا يشهدون ... إلخ؛ بل ما قَصَرتُمونا عليهم، بل زدتمونا بهذين الأمرين.

فأجابهم المُصنِّف بقوله في جميع الشُّبَه: إنَّ من وُجد منه مُكفِّر بأنْ كان مُصدِّقاً الرَّسول في شيءٍ ومكذِّبَه في شيء، أو وُجد منه مُكفِّر بأنْ رفع المخلوق في رتبة الخالق، أو وُجِد منه مكفِّر بأن غلا في أحدٍ من الصَّالحين فادَّعى فيه الألوهيَّة، أو وُجِد منه مخالفة الشَّريعة في أشياء مثل إباحته نكاح الأختين جميعاً، أو وُجِد منه مكفِّر بأي نوع كان من أنواع الرِّدَّة، أو وُجِد منه مُكفِّر بأَنِ اسْتَهْزَأ باللَّه أو آياته.

وحاصلُها: أنَّ مَنْ وُجِد منه مُكفِّر فهو مثلهم، وهو معه هذه الفروق يشهد أن لا إله إلَّا اللَّه؛ إلى آخر ما ذكر.

وأمَّا الثَّانية: فهي أنَّهم يقولون: إنَّ مَنْ قال: «لا إله إلَّا اللَّه»؛ فهو مُسلم حرام الدَّم والمال، بدليل قصة أسامة ... إلخ.

فأجابهم المُصنِّف: بأنَّ من أظهر الإسلام والتَّوحيد وجب الكَفُّ عنه إلى أَنْ يتبيَّن منه ما يخالف ذلك، فإِنْ تبيَّن منه ما يخالف ذلك قُوتِل ولو قالها، حتى يعمل بما دلَّت عليه[2].

---

(١) [الفرق بين هذه الشُّبهة والتي قبلها]

(٢) يعني: الشُّبهة الأولى: أنَّ الإنسان ما يكفر على قولهم حتَّى يأتي بجميع النَّواقض، ورَدَّ عليهم المُصنِّف أنَّه لو أتى بناقضٍ واحدٍ يكفي.

=

=

والشُّبهة الثانية: يقولون: أنَّ مَن قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لا يكفر؛ بدليل قصَّة أسامة، والجواب أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَامَ أسامة رضي الله عنه قال: لماذا ما تتأكَّد أولاً هل نطقها يقيناً بها، أم من باب الكذب بها؟

[1](وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى) يعني: مشركي هذه الأزمان غير ما تقدَّم؛ (وَهِيَ: مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم) وثبت (أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ[2]، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِعِيسَى) إذا اشتدَّ وطال بهم الموقف عَمَدُوا إلى الاستغاثة بهؤلاء، (فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم) فيقول: «أَنَا لَهَا».

(قَالُوا) قال المُشبِّهون بهذا الحديث: (فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ شِرْكاً)، وهذا من جهلهم، ما عرفوا الفرق بين الاستغاثتين؛ فإنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم حياتُه معهم في القيامة أكمل.

---

(١) [الشُّبهة الحادية عشرة: قولُهم: إنَّ الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركاً؛ لجواز الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة]

(٢) يعني: مِن شُبهَتِهم: أنَّه جاء في حديث الشَّفاعة أنَّ الخلق يستغيثون بالأنبياء أولي العزم حتَّى ينتهوا إلى محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فقالوا كما أنَّه يجوز أنْ نستغيث بالرُّسل في الآخرة كذلك في الدنيا، لكن هذا غير صحيح.

أوّلاً: هذه الاستغاثة في الآخرة، والآخرة ليس فيها تكليف بالعمل وإنَّما حساب.

والأمر الثاني: أنَّ الاستغاثة بالأنبياء وهم أموات لا تجوز، فقد أتت نصوصٌ كثيرة من الأنبياء وغيرهم بتحريم ذلك وأنَّهم لا يسمعون ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ ففيه فَرْقٌ في الدُّنيا تطلب بشرط أنْ يكون حاضراً قادراً يسمع، حتَّى لو كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وهو حي وشخصٌ في مكَّة يقول: يا رسولَ اللَّهِ! أغثني هذا لا يجوز شِرك؛ لأنَّها دعوة غائب.

وكذلك لو كان النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام حاضراً لكنْ يُسأل عن شيءٍ لا يقدر عليه مثل يقول: يا رسولَ اللَّهِ! اغفر لي هذا شِرك، لكن يُسأل عن شيءٍ يقدر عليه مثل يا رسولَ اللَّهِ! عثرت دابتي أعِنِّي ادعُ اللَّه لِي فهذا يجوز، إذا كان حي حاضر قادر.

والاستغاثة الشِّركيَّة التي أنكرناها هي ما يأتي بيانه؛ وهي: الاستغاثة بالغائب، أو الميِّت، أو الحيِّ الحاضر الَّذي لا يقدر.

وأما الجائزة؛ فهي: طلب الحيِّ الحاضر، وجنسُ سؤال النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم موجودٌ في اليوم الآخر وإن كان قد انقطع العمل، موجود في النُّصوص أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يَشْفَعُ لمن أُذِن له فيه.

ففرقٌ بين ما هو معلومُ الجواز، وبين ما هو معلومُ الحرمة والشِّرك.

[1](فَالجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ أَعْدَائِهِ!)، فحالَ بينهم وبين معرفة الفرق بين هذه الاستغاثة وهذه الاستغاثة؛ فصاروا لا يبصرون الشَّمس في رابعة النَّهار، فلم يفرِّقوا بين الشِّرك والتَّوحيد، فهذه شيء، وهذه شيء آخر، وبينهما فرق في الكتاب والسُّنَّة، وفرق في الحكم والحدّ.

(فَإِنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِالمَخْلُوقِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا نُنْكِرُهَا)، يستغيث إنسانٌ بإنسانٍ في شيءٍ يقدر عليه؛ (كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام -: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص:١٥]، وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي الحَرْبِ وَغَيْرِهَا - مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي يَقْدِرُ عَلَيْهَا المَخْلُوقُ -).

(وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا ٱسْتِغَاثَةَ العِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ) الأموات مُطلقاً، (أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ) والغائبين مُطلقاً.

وقوله: (**عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ**) خرجَ مخرجَ الواقع والغالب؛ وإلَّا فالأصنامُ ونحوها كذلك.

والحيّ الحاضر (فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ)، كالسُّؤال منه هدايةَ القلوب؛ أو رفعَ جبل ونحوه، وهذه كلها استغاثة شركية، وكلها أنكرناها؛ فمن سوَّى بينهما فقد سوَّى بين المتضادين وسوَّى بين المختلفين، فهو نظير التفريق بين المُتَماثِلَيْن.

فإنَّ الاستغاثةَ بالميت شرك أصلاً؛ لكونه فاقد الحِرَاك ولا يدري ولا يقدر.

والاستغاثةَ بالغائب أيضاً شرك؛ لكونه لا يسمع ولا يدري.

والاستغاثةَ بالحيِّ الحاضر؛ فيها تفصيل:

فإنْ كانَ فيما لا يقدر عليه كرَدِّ البَصرِ بغيرِ أمرٍ طبِّيٍّ، أو هدايةِ القلب بغير الإرشاد

---

(١) [الجواب بالفرق بين الاستغاثتين]

والحُجَّة أو نحو ذلك، فهذا كلُّه شركٌ أَنْ يفعلَ بِسِرِّه – أي: بأُلوهيَّته – شيئاً من ذلك؛ فإنَّ هذا لا يقدر عليه إلَّا اللَّه.

والاستغاثة بالحيِّ الحاضر القادر أَمْرٌ فِطْريٌّ ضروريٌّ معلومٌ بالشَّرع والحِسِّ والاستعمال؛ فإنَّ الإنسانَ مَدَنيٌّ مُحْتاجٌ إلى بني جنسه ومساعدتهم في جميع معاشه واتِّصالاته، وهكذا كل حياة العالم على هذا.

(إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ) أي: إذا تقرَّر ما تقدَّم – وهو الفرق بين الاستغاثتين؛ الاستغاثة الشِّركيَّة الَّتي أنكرناها، والجائزة –، أنَّ التي أنكرناها استغاثة العبادة .. إلخ، لا الاستغاثة بالحيِّ الحاضر فيما يقدر عليه: (فَالِاسْتِغَاثَةُ بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ) من الثَّانية[1]؛ فإنَّها استغاثة بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ، هم مع النَّاس حاضرين قادرين في حياة أكمل من هذه الحياة الدُّنيا.

(يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ؛ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ المَوْقِفِ) فحقيقتها: أَنْ يرغبوا إليهم أن يسألوا اللَّه ويدعوه؛ (وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا) ولا محذور فيه، (وَ) جائزٌ في (الآخِرَةِ؛ أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ) قادر على الكلام، (تَقُولُ لَهُ: ٱدْعُ اللَّهَ لِي) لأنَّه متمكِّن؛ وكذلك الأنبياء مع النَّاس يومَ القيامة متمكِّنون أَنْ يَسْأَلوا اللَّهَ ويدعوه، (كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَهُ) ذلك (فِي حَيَاتِهِ)[2]، كما قالت أُمُّ أنسٍ رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللَّهِ!

---

(١) لأنَّ الأنبياء حاضرون يوم القيامة في المَشْهَد.

(٢) فاستغاثة النَّاس في المحشر بالأنبياء جائزة يقولون: اطلبوا لنا من اللَّه كذا وكذا لأنَّهم حاضرون وأحياء، لكن تذهب إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو ميت وتقول له: يا رسولَ اللَّهِ! اشفع لي فهذا شرك أكبر.

خُوَيْدِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ»، وكما قال عُكَّاشة بن مِحْصَنٍ رضي الله عنه: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ».

(وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ: فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ!) بل جاءتهم الكروب ولم يأتِ أحدٌ زَمَن الحَرَّة ولا غيرها، بل يعدُّونه من أعظم المنكرات، فإن هذا هو الشِّرك الأكبر، ولِعِلْمِهم أنَّ ذلك مختصٌّ في حياته، وأنَّه انقطع بعد مماته، فلا يستغيثونه ولا يسألونه أن يدعو اللَّه لهم، أو يدعو له.

(بَلْ أَنْكَرَ السَّلَفُ عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللَّهِ) وحده مُخْلصاً (عِنْدَ قَبْرِهِ) - قبر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم - يظنُّه أَجْوبَ، كما أنكر عليُّ بن الحسين - وهو أعلم أهل البيت في زمانه -، على مَنْ أتى قبرَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يدعو اللَّه فنهاه وقال: أَلَا أُحَدِّثُكَ حديثاً سَمِعْتُه مِنْ أَبي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَنَّه قال: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»، (فَكَيْفَ دُعَاؤُهُ) - النبيِّ - (نَفْسِهِ؟) إذا كان هذا إنكار السَّلف على مَنْ قَصَد دعاءَ اللَّه وحده لا شريك له عند قبر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فكيف دُعاؤُه نفسِه؟ كيف لو وجدوه يدعو النَّبيَّ نفسه؟ فإنَّهم يكونون أشدّ إنكاراً؛ فإنَّ الأوَّل: بدعة ولا يجوز.

وأما الثَّاني: فهو الشِّرك الأكبر؛ لأنَّه صدَر منه مخُّ العبادة، وهو دعاءُ غير اللَّه، فما ظنُّك لَوْ سمعوا مَنْ يقول: انصرني، أو ارزقني؟!

[1](وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى[2]؛ وَهِيَ: قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ) حينما أَمَر عدوُّ اللَّه النّمرود بجمعِ حطبٍ عظيمٍ، ثم أضرم فيه النَّار وأمر بإلقاء إبراهيم فيها، (آعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ فِي الهَوَاءِ) حين أُلْقِي من المنجنيق، (فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟) في هذه الضِّيقة والشِّدَّة أَنْفَعُك بها (فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا!)، فصبر في شدَّة هذه الحاجة، ثم قال إبراهيم عليه السلام: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل، أي: كافينا اللَّه وحده ونعم الموكول إليه أمر عباده، فقال اللَّه تعالى للنَّار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[3] [الأنبياء:٦٩] فكانت برداً وسلاماً عليه.

فالمقصود: أنَّ هؤلاء المشركين شبَّهوا بهذه القصَّة (قَالُوا: فَلَوْ كَانَتِ الِاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيلَ شِرْكاً لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) فعرْضُها على إبراهيم من جبريل، يجوز الاستغاثة به، وإلَّا لمَا جاز.

وأصلُ ضلالهم في هذه الشُّبهة: عدم التَّفريق بين الجائز والحرام، وعدم العلم والاطلاع على ما في الكتاب والسُّنَّة والإجماع من بيان ذلك.

---

(١) [الشُّبهة الثَّانية عشرة: استدلالهم على أنَّ الاستغاثةَ بالأموات والغائبين؛ ليست شركاً بعرضها على إبراهيم من جبريل]

(٢) وهذه آخر شُبْهَةٍ يذكرها المُصنِّف رحمه الله هنا في «كشف الشُّبهات»، وهذه الشُّبهة يقولون: أنَّ جبريل عليه السَّلام اعترض على إبراهيم عليه السَّلام فقال: هل لك حاجة؟ قالوا أنَّ جبريل لمَّا اعترض على إبراهيم أنَّ هذا استعانة ولكنَّ الحديث ضعيف، ولِفَرض صِحَّته فإنَّ اللَّه هو الذي أمر جبريل أعن إبراهيم عليه السَّلام لمَّا أراد أنْ يُلقى في النَّار.

(٣) لكنَّ الحديث ضعيفٌ أو القِصَّة هذه غير صحيحة، ومع ذلك أهل الشُّبهات يستدلُّون بها، ونحن نقول: أصلاً القِصَّة ما ثبتت.

[1](فَالجَوَابُ: إِنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الأُولَى؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ) وهو حيٌّ حاضرٌ قادرٌ؛ فإنَّ هذا مِن جنس الاستغاثة بالحيِّ الحاضرِ القادرِ، (فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم:٥]، فَلَوْ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الأَرْضِ وَالجِبَالِ وَيُلْقِيَهَا فِي المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ؛ لَفَعَلَ) كما صَنَعَ حين أُمر بقَلْعِ دِيَارِ قَوْمِ لُوطٍ وما حولَها من القرى حتى بَلَغَ بها عنان السَّماء، (وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ؛ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ لَفَعَلَ).

ثم مثَّل المُصنِّف بحالة إبراهيم وجبريل فقال: (وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَى رَجُلاً مُحْتَاجاً، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ أَوْ أَنْ يَهَبَ لَهُ شَيْئاً يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ) هذا مِثْل جبريل، (فَيَأْبَى ذَلِكَ الرَّجُلُ المُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ لَا مِنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ) هذا مِثْل إبراهيم عليه السلام، فكما أنَّ الفقير لو قَبِل من الغنيِّ لم يكن مُشْركاً فكذلك هذه.

(فَأَيْنَ هَذَا مِنِ ٱسْتِغَاثَةِ العِبَادَةِ وَالشِّرْكِ) التي يفعلونها مع الأموات والغائبين، وهي عينُ شركِ المشركين الأوَّلين، من هذه الاستغاثة المذكورة في قصة إبراهيم (لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!) فهذا جنسٌ وهذا جنس، فمن سوَّى بينهما فقد سوَّى بين المتباينين من كل وجه.

وفي الحقيقة: أنَّ مَنْ قال هذا؛ أولى ما له مراجعة عقله؛ فمَنْ قال: إنَّ هذه مثل هذه، أو توقّف فيها فهو مصاب في عقله.

---

(١) [الجواب]

(١)(وَلْنَخْتِمِ الكَلَامَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِمَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ جِدّاً تُفْهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ) مِن أجوبة الشُّبهات السَّابقة؛ مجموعُ جواب الشُّبهات السابقة يكفي؛ لكنْ متفرقٌ فيها، وجمعها في مسألةٍ واحدةٍ أوضح للطَّالب، وإفرادها يكون أَوْعَى لها وأَحْفَظ، أو يكون من بابِ تكريرها مرَّتين للحفظ ويكون من باب اللَّفِّ بعد النَّشر؛ ذُكرت في الأجوبة عموماً وهاهنا خصوصاً (وَلَكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الكَلَامَ لِعِظَمِ شَأْنِهَا) يذكر لها كالتَّرجَمة بكلامٍ يختص ويفرد بالكلام؛ فإنَّ كلَّ ما كان أعظم شأناً فإنَّه يفرد بكلام، فعِظَمُ شأنها يستحق أن تفرد بكلام، (وَلِكَثْرَةِ الغَلَطِ فِيهَا) يستحق أن تفرد بكلام، وما كان كذلك كان حقيقاً أن يحفظه الطالب، وأن يثنيَ عليه الخناصر.

(فَنَقُولُ: لَا خِلَافَ) بل إجماعٌ بين أهلِ العلمِ (أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالقَلْبِ واللِّسَانِ وَالعَمَلِ) فلا بدَّ من الثَّلاثة:

لا بدَّ أن يكون هو المُعتَقَد في قلبه.

ولا بدَّ أن يكون هو الَّذي ينطق به لسانه.

ولا بدَّ أن يكون هو الَّذي تعمل به جوارحه.

(فَإِنِ ٱخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا) لو وحَّد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحَّد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحَّد بأركانه دون الباقي (لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِماً) هذا إجماع؛ أنَّ الإنسانَ لا بدَّ أن يكون مُوحِّداً باعتقاده ولسانه وعمله.

---

(١) [خاتمة: التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعمل، فإن اختلَّ واحد منها انتفى الإسلام]

وهذه أمثلة اختلالِ واحدٍ من هذه الثَّلاثة:

(١)(فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ) إذا اعتقد ولا نطق ولا عمل بالحق بأركانه، فهذا كافرٌ عند جميع الأُمَّة، (كَفِرْعَوْنَ) كما في آية: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢].

(وَإِبْلِيسَ) وكذلك إبليس يعرف الحقِّ كما قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص:٨٢]، ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر:٣٩] فكفرُهُما كفرُ عناد؛ فإنَّ فرعون وإبليس يعرفان الحق في الجملة، وقد ينطقون به، وبعض الكفر يكون عن جهلٍ وعدمِ بصيرةٍ.

(وَأَمْثَالِهِمَا) كعلماء اليَهُود - أُمَّةِ الغضب - وأمثالِهم ممَّن يعلم الحقَّ ولا يعمل به.

(وَهَذَا) المقام - مقامُ التَّوحيد -، وأنَّه لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعمل (يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)؛ منهم مَن إذا نُعِت له التَّوحيد (يَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ)، وهذا الَّذي ندين اللَّه به، (وَلَكِنْ) يعتذرون، يقولون: (لَا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ) يعني: ما يوافقون أهل بلده، (وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ) الَّتي اعتذر بها، يعني: ليس عن جهلٍ بها، ما جحدوها، لكن آثروا العاجل والحطام على الآجل.

(وَلَمْ يَدْرِ المِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الكُفْرِ يَعْرِفُونَ الحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إِلَّا لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَارِ) التي هي مثل هذه الأعذار؛ (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة:٩]) ففي هذا أنَّهم عرفوا الحقَّ وإنَّما آفتُهم شَهْوتُهم، وإيثارُ عاجِلهم على آجلهم.

(وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]) فعلماء اليهود يعرفون الحقَّ ويعرفون أنَّه الحقُّ، ولكن رياساتهم مَنَعَتْهُم من الانقياد له، فمعرفتُهم

---

(١) [المثال الأوَّل من أمثلة اختلال واحد من هذه الثَّلاثة]

وإقرارُهم بالحق ما نَفَعَهُم، حيث تركوا العملَ به والانقياد، كما كان اليهود قبل مَبْعَثِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يقولون: إنَّه ظَلَّ زمن الأنبياء، ووااللَّهِ لَئِنْ بُعِثَ نبيٌّ لنُقَاتلنَّكم معه، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية [البقرة:٨٩].

[1](فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلاً ظَاهِراً) جرى على لسانه وعمِلَت به أركانه (وَهُوَ لَا يَفْهَمُهُ أَوْ لَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ)، أو فهمه ولكن لم يَنْقَد بجَنانه؛ (فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِصِ) فإنَّ الكافرَ الخالصَ أتى الشَّرَّ من وجهه، ولا خادَعَ ولا دلَّس ولا لبَّس وخَان (﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]) يعني: تحتَ الكفَّار؛ فهم أَشرُّ من الكفَّار في الآخرة.

والنِّفَاق: مشتقٌّ من نَافَقَاء اليَرْبُوع، إذا خالفَ بابَ جُحْرِه.

وفي الشَّرع: مخالفةُ الظَّاهر للباطن، إمَّا في الاعتقاد كمَنْ يقول: باللِّسان ويعمل بالأركان؛ ولكن مخالف بالجَنان، فهذا نفاقٌ أكبر ناقلٌ عن المِلَّة.

وقد ذكر اللَّهُ المنافقين في ثلاث عشرة آية من سورة البقرة، بخلاف الكافر الأصليِّ فإنَّه أهونُ كفراً من المنافق، والكُفَّار الأصليُّون ذُكِروا في آيتين من سورة البقرة.

والقسم الثَّاني: نفاقٌ عمليٌّ، وهو ما ذكر في الحديث: «إِذَا حَدَّثَ؛ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ؛ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ؛ خَانَ» وصاحبه لا يكون مثل الأوَّل، وهو أعظمُ من الكبائر؛ فإنَّ جنسَ ما أتَى في النُّصوص بتسميته كفراً أو نفاقاً فهو أعظم ممَّا أتَى أنَّه معصية مُتوعَّدٌ عليها بوعيد؛ لأنَّ ذنبَ الشِّرك والنِّفاق، أعظمُ من غيره وأقبح.

---

(١) [المثال الثَّاني]

[1](وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ) - مسألة أنَّ التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعمل - (مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيْلَةٌ) جِدّاً (تَبِينُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ)، في أحوال الناس وأردت تحصيل ثلاثة أمور: كونهم اعتقدوه، ونطقوا به بألسنتهم، وكمَّلوه بأعمالهم؛ فإنَّك تجد الأكثر لم يكملوا هذه الثَّلاثة، بل إمَّا هذا، وإمَّا هذا، وإمَّا اثنان.

(تَرَى مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ وَ) لكن (يَتْرُكُ العَمَلَ بِهِ) وهذا مثل علماء اليهود، ومثل فرعون، ومثل إبليس؛ (لِخَوْفِ نَقْصِ دُنْيَا أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةٍ) هذا قسم.

(وَ) القسم الثَّاني: (تَرَى مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِراً لَا بَاطِناً) أمَّا قلبُه فلا يصل إليه حقيقة الاعتقاد، (فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ: فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ) فالأوَّل كثير، والثَّاني دونه، والثَّالث قليل.

فالَّذي يعرفه وينطق به: كثير.

وكذلك الَّذي يعتقده ويتكلَّم به: كثير.

والثَّالث: الَّذي يعتقد ويعمل ولا ينطق: وهو قليل.

---

(١) [أحوال النَّاس في هذه المسألة]

[1](وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) فإنَّ بفهمهما يتبيَّن لك ما قرَّره المُصنِّف من أنَّ التَّوحيدَ لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعمل ... إلخ[2]:

(أُولَاهُمَا: مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦]).

(فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوُا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ) واحدةٍ[3] (قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالكُفْرِ أَوْ يَعْمَلُ بِهِ خَوْفاً مِنْ نَقْصِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ؛ أَعْظَمُ مِمَّنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا) وأولى وأحقُّ بالكفر ممَّن تكلَّم بكلمةٍ يمزحُ بها وهو من الصَّحابة، أفالصَّحابة الَّذين قالوها يصيرون كُفَّاراً وهؤلاء لا يصيرون كُفَّاراً؟!

---

(١) [وآيتان تدلَّان على أنَّ التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالثَّلاثة]

(٢) يعني: ما يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ويطوف على القبر، ما استفدنا مِن كلمة التَّوحيد.

(٣) وهم في عبادة الجهاد، وقالوا هذه الكلمة لأنَّها ما وقرت في قلبهم.

(وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ) - من الآيتَيْن الدالَّتَيْن على مُراد المُصنِّف أنَّ التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللسان والعمل ... إلخ -: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾) أي: مَن صَدَرَ منه الكفر (﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦]) أي: إلَّا من كان في حقه شرطان: الأوَّل: الإكراه، فلا بدَّ أن يكون مُكْرَهاً.

والثَّاني: كون قلبه مُطْمَئنّاً ساكناً بالإيمان.

(فَلَمْ يَعْذُرِ اللَّهُ) لم يستثنِ اللَّه (مِنْ هَؤُلَاءِ؛ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنّاً بِالإِيمَانِ).

والإكراه: كونه وصل إلى حدٍّ يخشى على نفسه القتل أو ولده؛ فهذا يجوز أن ينطق بكلمة الكفر الَّتي أكره عليها بشرط كون قلبه مُطْمَئنّاً بالإيمان؛ أي: مُعْتقداً الحقَّ بجَنانه؛ لكن إنْ كان لمَّا أكره طاع بقلبه ولم يكن مُطْمَئنّاً؛ فهو من أهل الكفران.

(وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ - سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوْفاً، أَوْ مَدَارَاةً، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ المَزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغْرَاضِ -؛ إِلَّا المُكْرَهُ).

(١)(وَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا) أنَّ التَّوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان والعمل (مِنْ جِهَتَيْنِ):

(الأُولَى: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾؛ فَلَمْ يَسْتَثْنِ اللَّهُ إِلَّا المُكْرَهَ).

(وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ) لا يُتصوَّر في حقِّه الإكراه (إِلَّا) بهذين الأمرَيْن: (عَلَى العَمَلِ، أَوِ الكَلَامِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا) فإذا فعل وصدر منه الكفر، فإنَّه كافر بعد إيمانه.

(وَالثَّانِيَةُ) - تقدَّم قول المُصنِّف أنَّها تدلُّ على ما قرَّره من جهتين، وتقدَّمت الجهة

---

(١) [وجه الاستدلال من الآية]

الأولى، وهذه الثَّانية -: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا﴾) الباء للسبب، يعني: ذلك بسبب محبَّتهم (﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٧]) يعني: الجنَّة.

(فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفْرَ وَالعَذَابَ) المحكوم به عليهم في هذه الآية والمُترتِّب على ما صدر منهم (لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الِاعْتِقَادِ، أَوِ الجَهْلِ، أَوِ البُغْضِ لِلدِّينِ، أَوْ مَحَبَّةِ الكُفْرِ).

(وَإِنَّمَا سَبَبُهُ) أي: صدور الكفر منه، أنَّه تكلَّم بالكفر لسبب - وهو أنَّ له في التَّكلُّم بالكفر شيئاً واحداً -، وهو (أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظّاً مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا) يحصل له، فيرتكب هذا المحظور لأجل أنَّه لا يحصل له مطلوبه إلَّا - والعياذ باللَّه - بإيثار الحياة الدُّنيا (فَآثَرَهُ عَلَى الدِّينِ) على الآخرة.

(١)فالإنسان الذي يُلجِئُه مَن يُلجِئُه إلى أن يصدر منه الكفر له حالات(٢):

أحدها: أن يمتنع ويصبر عليها، فهذه أفضل الحالات(٣).

الثانية: أن ينطق بلسانه مع اعتقاد جنانه الإيمان(٤)؛ فهذا جائز له تخفيف ورحمة.

الثالثة: أن يُكرَه فيجيب ولا يطمئن قلبه بالإيمان(١)؛ فهذا غير معذور وكافر.

---

(١) [أحوال النَّاس في الإكراه على الكفر]

(٢) يذكر رحمه الله هنا حالات مُهمَّة، قد لا يكون يذكرها أحدٌ على هذا التَّفصيل.

لذلك قال: «فالإنسان الذي يُلجِئُه مَن يُلجِئُه إلى أن يصدر منه الكفر له حالات» يعني: مَن تكلَّم بكلمة الكُفر وهو مُكره يكفر أم لا؟ الجواب في الحالات التَّالية.

(٣) لو قال شخصٌ مثلاً: طُفْ على القبر أو نقتلك، قال: لن أَطُف اقْتُلْني، فهذه أفضل الحالات.

(٤) يعني: لو قيل له: اكْفُر مثلاً سُبَّ الرَّب سبحانه وتعالى - تعالى اللَّه عن ذلك - فتكلَّم بكلمة الكُفر لِكَونه أُكره لكنْ قلبه مُؤمن.

الرابعة: أن يُطلب منه ولا يُلجَأ؛ فيجيب[٢] - ما وصل إلى حد الإكراه -، ولكن يوافق بلسانه وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان فهذا كافر.

الخامسة: أن يُذكر له ولا يَصِل إلى حد الإكراه، فيوافق بقلبه ولسانه؛ فهذا كافر[٣].

(وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ).

أقول: وكان الفراغ من كتابة هذه المبيضة في شهرِ صفرٍ، عام ألفٍ وأربعِ مئةٍ وأحدَ عشر.

وقد كان تاريخ كتابة هذه التَّقريرات المُتلقَّاة من فِيِّ شيخنا - الشَّيخِ مُحمَّد بن إبراهيمَ آل الشَّيخ رحمه الله -، عام ستةٍ وستِّين وثلاثِ مئةٍ وألف هجريَّة، وبعضها بعد ذلك، وبعضها قبل هذا التَّاريخ، وقد بلغت نُسَخُها الَّتي كتبتها حال إلقائه الدروس ستّ

=

(١) يعني: لو قيل له: سُبَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أو دينَ الإسلام فسبَّه وهو راضٍ بهذا وقلبه غير مُطمئن، فهذا يكفر - والعياذ باللَّه -.

(٢) مثل: لو شخصٌ يتكلَّم مع آخر وقال له: سُبَّ الدِّين أو سُبَّ الرَّسول فسبَّه من غير إكراهٍ فهذا كافر؛ لأنَّه ما أُكره على الكُفر حتَّى ولو كان قلبك مُطمئن لا يوجد سبب لِتتكلَّم بكلمة الكفر، وإنَّما سبب التَّكلُّم بالكُفر هو الإكراه فقط.

(٣) يعني: يقولون له، وهو يوافق بالقلب واللِّسان ويرضى بهذا فهذا - والعياذ باللَّه - كُفر؛ لأنَّه تكلَّم باختياره ما أُكره، ثُمَّ عندك مندوحة أخرى بالقلب تُنكر يطمئن قلبك، أمَّا هذا قلبه مُنشرح وبدون إكراه ويتكلم بالكُفر - تعالى اللَّه عن ذلك -.

نسخ[1]، وبعضها أقل من ذلك، وقد جمعت ذلك كلَّه في هذه المبيضة.

واللَّهَ أسأل أن ينفع به وينفعني به، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، وصلى اللَّهُ على محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

وكَتَبَهَا بخطِّه:

مُحَمَّدُ بن عبد الرَّحمن بنِ مُحَمَّدِ ابن قاسمٍ[2]

(١) يعني: الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم شَرَحَ «كشف الشُّبهات» سِتّ مرات، ويُكتب عنه هذا الشَّرح حتَّى خرج هذا الشَّرح مجموع مِن سِتّ مرّات تُشرح وهذا يدلُّك على أهميَّة هذا الكتاب، كَثرة شَرْحِ الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم رحمه الله ومَن قبله مِن العلماء لهذا الكتاب.

(٢) وهذا الشَّرح هو أوسعُ وأشملُ وأنفعُ كتابٍ لشرح «كشف الشُّبهات» رحمه الله، بل هو أوَّل شرحٍ له مكتوب منذ عهد الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله، فالمَتْنُ لِأعلم أئمَّة الدَّعوة، والشَّرح لِمَن هو أعلم مِن أئمَّة الدَّعوة رحمهم اللَّه جميعاً.